مابين السطور

قراءات نقدية

انتصار حسن مشراح

الطبعة الثانية

بعض المقالات النقدية كتبتها بين (2002-2006)

ونشرت في جريدة الثورة الرسمية

والبعض الآخر كان نتاج تفاعلات تذوقية في المنتديات الأدبية

(2012- 2014)

المرأة في القصة النّسائية

قصة المرأة اليمنية أنموذجا

دراسة تطبيقية – موضوعية

هناك مقولة قديمة تقول: إذا كان الرجل هو القوة فالمرأة هي الصمت، وعلى هذا الأساس قام اضطهاد المرأة منذ القدم.

فالإنسان الأثيني كان يكره أن تكون للمرأة شخصية مستقلة، كانت المرأة حينها أتعس المخلوقات، سلعة تباع وتشترى، لا تستطيع الطلاق من زوجها وتظل تابعة له، وإن طلقت فتعد شيئا غريبا في المجتمع. هذا ما قاله الكاتب اليوناني (يوريبيدس) عن المرأة في عصره.

إذن فمنزلة المرأة الرومانية كانت أحط منزلة، لم يكن يقبل منها أي شهادة، وظلت في نظر القانون قاصرا يتولى رعايتها أبوها ومن ثم زوجها، حتى أنها تعد في نظر القانون – إذا ما تزوجت- ابنة لزوجها.

وبالانتقال إلى المرأة الفرنسية فقد ظلت كذلك عديمة الأهلية، ولم تقبل شهادتها كما أن توقيعها على أي عقود خاصة أو رسمية كان غير معترف به حتى عام 1897.

وكذلك المرأة الروسية التي عاشت واقعا قاسيا، مما أدى إلى إعلانها لصرخة الرفض، فظهرت عدة أديبات في عصر لم يكن يتوقع من المرأة شيئا غير الصمت والخضوع، ولذلك كان مصير كل منهن مصيرا مأساويا.

فالشاعرة الروسية آنا أخماتوفا- (أول سيدة تجرأت وكتبت الشعر) - جعلت من الشعر وسيلة للتعبير عن قضايا المرأة في مجتمعها، مما أثار غضب السلطة الروسية فأعدم زوجها وأستاذها الشاعر (جوميليوف)، كما اعتقل ابنها الشيء الذي أبعدها عن الثورة وقضاياها.

ولم تختلف عنها (مارينا تسفيتاييفا) التي عانت من مجتمعها حتى انتحرت عام 1941، بسبب الضغوط التي واجهتها في طريقها الأدبي.

لقد طمحت تسفيتاييفا بإحداث تغيير ملموس في المجتمع ولكن المجتمع لم يعجبه صوت امرأة تنادي بالحرية.

وبالانتقال إلى المرأة العربية، نشاهد القهر ماثلا في حياة كل أديبة، حرمت المرأة من التعليم لكي لا تشعر باضطهادها، لذلك عُدّ تعليم المرأة من المحظورات.

كان للمرأة المصرية والسورية الأسبقية في الدخول إلى المجال الأدبي، بعد أن تحررت المرأة هناك فدرست وعملت، ومن ثم ساهمت في تحرير المرأة التي استسلمت للتقاليد والتبعية، ووجدت دافعا نحو الكفاح السياسي.

انتقلت المرأة لمرحلة التفكير بالنفس فبدأت بترجمة مشاعرها ورفضت الاستلاب والعبودية القديمة، ووقفت أمام القهر الممارس ضدها.

فحين نأتي لدراسة بدايات كاتبات معروفات ك(لبيبة هاشم، مي زيادة، ليلى بعلبكي، كوليت خوري، غادة السمان، ليلى عسيران، أحلام مستغانمي ..... وغيرهن) نجد الذاتية ماثلة في أغلب أعمالهن، ونستطيع بوضوح تمييز نبرة الاسترحام في كتاباتهن، كما نرى إراقة الدموع وذكر المآسي.

حينها لم تأت الكاتبات بالشيء الكثير من خيالهن، فكل ما شعرن به وكل ما عشنه في مجتمعهن، ترجم ليصبح عملا إبداعيا، فكانت كتابات المرأة مرآة للواقع.

وتأتي مقولة (وليم فان اوكنور) مؤيدة لكلامي حيث قال: من أجل أن يكون الإنسان وفيا لفنه، لابد أن يكون وفيا لعصره، إذ ينبغي عليه استخدام المواد الأولية التي يقدمها إليه ذلك العصر.

فعلى الأديب معايشة عصره ومجتمعه ليكون عمله مميزا، وهذا ما فعلته معظم الكاتبات في الغرب والشرق.

سمات البواكير القصصية للمرأة اليمنية:

كانت المرأة اليمنية منقطعة عن الثقافة العربية والعالمية بسبب هيمنة الحكم الإمامي في صنعاء وغيرها من المدن أما المناطق التي كانت تحت سطوة الاستعمار البريطاني عدن وما حولها فقد كانت تتنفس قليلا قليلا ، ومنها ظهرت أول كاتبة يمنية.

اتسمت البدايات القصصية بسمات تنسب للمدرسة الرومانسية:

- رفض الواقع
- الهروب واللجوء إلى الخيال
- الذاتية
- العاطفة

طمحت الأديبة إلى تغيير الواقع، وبما أن القصة بشكل عام فن جديد، ليس قديما كالشعر، فقد كان من السهولة تتبع بدايات هذا الفن وخاصة في اليمن

ففن القصة النسائية في اليمن فن حديث الولادة، حيث كان عام 1961 هو تاريخ نشر أول قصة لكاتبة يمنية لم تذكر اسمها.

فبسبب اختفاء الجذور وعدمية الأصول للقصة في اليمن نجد المرأة اليمنية تتأثر بالمرأة الغربية ومن ثم بالمرأة العربية.

فاستقت من هذه وتلك فنون القصة ومواضيعها التي وظفتها في كتاباتها القصصية ،إضافة إلى الكبت والاضطهاد فقد كان لهما الدور الأول في إعلان صرخة الرفض في وجه المجتمع.

وفي هذا يقول (مارث روبير) إن الرواية هي تاريخ المرأة، فحين كتبت المرأة وعبرت عن مشاعرها أرخت لنفسها وكيانها، وأعلنت عن وجودها وسجلت حضورها في المجال الأدبي الذي كان حكرا على الرجل.

وبهذا ظهر أدب جديد هو الأدب النسائي الذي نستطيع تعريفه بأنه (الأدب الذي تكتبه المرأة ويكون موضوعه المرأة ذاتها).

هذا الأدب هو تعبير المرأة عن أجواء القهر والمصادرة في ظل انغمارها بهذه الأجواء، هو طرق باب المسكوت عنه في سبيل الحرية والانعتاق وإثبات الذات.

واستلزم هذا النوع من الأدب قدرا لا بأس به من الجرأة والتحدي إضافة إلى الموهبة الأدبية، بهذا ينعكس عالم المرأة على إبداعها بطريقة أو بأخرى، ليصبح عملها مرآة واضحة للواقع.

ومصطلح المرآة هنا لا يأخذ المعنى الأفلاطوني الذي ينقل ملامح الواقع نقلا حرفيا دون أي تغيير، فالقاصة تعمد إلى تغيير الواقع واللجوء نحو الخيال والعاطفة.

لقد أضافت مساهمات المرأة في الحقل الأدبي سمات جديدة للأدب، فاعتبرت كتابات المرأة وسيلة من وسائل تحررها، وسبيلا من سبل الخلاص من وضعها في مجتمع لا ينزلها منزلة متكافئة مع الرجل.

وتؤكد هذه الفكرة الكاتبة والناقدة يمنى عيد إذ تقول بأن كتابة المرأة ما كانت إلا بغرض تحريرها، وبغرض إطلاق العنان لقدراتها الفكرية، ولذلك فحين أتت المرأة لكتابة نص إبداعي كان همها الوحيد هو التعبير عن مشاعرها ومداركها بكامل الحرية.

لم تبدأ المرأة العربية بالكتابة إلا بعد أن تعمقت تجربتها بالحياة ونضجت رؤاها وأغنت وعيها فأقامت بذلك علاقة جمالية بينها وبين الواقع.

وبما أن الإبداع النسائي يرتكز على فكرة إثبات الذات فقد رسمت الأديبة العربية علاقة التكافؤ التي فشل في نسجها المجتمع وسعت إلى مساواتها بالرجل .

ارتكزت قصص المرأة اليمنية على قضايا المجتمع وعالجتها كقضايا اجتماعية لا كقضايا ذاتية، فكان الأدب انعكاسا للواقع الاجتماعي والمادي الذي يرى

المرأة بنظرة دونية، وبذلك أصبحت مشكلات المرأة الخاصة مشكلات عامة تستقي جذورها من مشاكل الطبقة أو الشريحة الاجتماعية التي تنتمي إليها، بحيث تصبح معاناة المرأة جزءا طبيعيا من معاناة المجتمع.

لقد ضاقت المرأة اليمنية ذرعا بالواقع المعاش فأعلنت الرفض وأسدلت الستار على عهد الصمت ودخلت مجال الأدب بكل قوة وتحد.

سعت المرأة من خلال كتاباتها إلى الكشف عن الإكراهات التي تعاني منها، وعبرت عن همومها وأوضحت ردها من القمع والتهميش، ولكل تلك الأسباب لم تقو على وأد رغبة الإفصاح والكتابة، والتي أصبحت الاستجابة لها أمرا لا بد منه.

كتبت المرأة اليمنية القصة فتكلمت عن النظرة الدونية التي تنظر بها المرأة من قبل أخوتها الذكور، وتكلمت عن حريتها المفتقدة التي يسلبها إياها المجتمع بمجرد بلوغها، وتكلمت عن المرأة التي لا ترى زوجها إلا في ليلة الزفاف دون أخذ لرأيها ودونما استئذان.. فبهذا ظهر التحكم باختيارات المرأة المتعلقة بقضايا الزواج والطلاق والحجاب والميراث والعمل والدراسة، لهذا ظهر الرفض والاستنكار من مجتمع لا ينظر في المرأة شيئا إلا كونها أنثى لا غير.

وبسبب كل تلك الضغوطات لم نجد كاتبات بدأن بالكتابة إلا بعد أن تجاوزن الأربعينيات من العمر، لا يعني هذا عدم وجود الكاتبات الأصغر سنا، ففي هذا

تقول القاصة أروى عثمان بأنها أثناء فترة تدريسها عرفت الكثير من الطالبات اللاتي لم يستطعن إظهار إبداعاتهن خوفا من سلطة الأب أو الزوج أو الأخ الأكبر، وحتى وقتنا الحالي نشاهد امتهان المرأة المبدعة من قبل الذين يسخرون من إمكانية امتلاك المرأة لناصية أدبية تتألق بها.

وفي هذا تقول الكاتبة حياة انيس: لماذا عندما يكتب الرجل بذاتيته لا يتكلم أحد، وإذا كتبت المرأة بذاتيتها يتكلم الجميع؟ فالمرأة المتحدثة بذاتيتها تعتبر امرأة خارقة لقوانين المجتمع.

لجأت القاصة اليمنية لبث رؤاها عن بعض الظواهر واتضحت نبرة الرفض والتمرد والثورة على كل الرواسب القديمة التي جعلت حياتها محصورة بين

(الزواج –البيت) و(القبر).

ومع انتشار التعليم وإقبال الفتاة على الدراسة في الجامعات ومواصلة بعضهن الدراسات العليا في الخارج ظهرت المرأة في مجالات متعددة نجحت بها كالصحافة والتلفزيون والاذاعة والتعليم .....وغيرها من المجالات التي لا تنتهي.

فجاء ذكر المسكوت عنه أحيانا باحتشام وأحيانا بجرأة.

اتجاهات القصة لدى المرأة اليمنية:

_ هناك أعمال قصصية محورها النزعة النسوية التي ترمي إلى نقض التراث الذي يهمش المرأة، وهذه الكتابة تمثل رد فعل طبيعي يجسد الوعي النسوي بصورة إيجابية وتتميز في نماذجها الجيدة بجسارة تناولها للتابوهات الاجتماعية.

_ وهناك أعمال قصصية تربط التجربة الحياتية للمرأة بما هو عام على مستوى الواقع المعاش بقضاياه وهمومه وأزماته بما يظهر في لحظية الزمن وتشظي الذات وتجزئة الحدث القصصي.

_ وتعتمد بعض الكاتبات استخدام صيغ من التراث الشعبي وطرق الحكي الشفاهي مما يجعل الخطاب القصصي ساحة لتفاعل صيغ لغوية جديدة.

_ بالإضافة إلى أن هناك نصوصا تعمد إلى تنوع وجهات الرأي، فتظهر المرأة كائنا إنسانيا نظيرا للرجل

_ وأخيرا هناك نصوص تعتمد على تجسيد تجربة المرأة المتعلقة بكيانها العقلي والنفسي.

أما عن الكاتبات اللاتي تناولتهن في دراستي فقد كافحن من أجل الحرية وكان طريقهن مليئا بالأشواك.

لقد كانت العادات والتقاليد القديمة والنظرة الدونية للمرأة تزيد من إصرارها لشق طريق جديد رغم المعوقات والعقبات، فجاءت مواضيع القصص مختلفة فنجد سوء معاملة المرأة، حزن الرجل إذا رزق بأنثى، تفضيل الرجل المرأة الجاهلة على المتعلمة وظلم الرجل للأديبة وعدم اعترافه بها.

دراسة تطبيقية لدى مجموعة من القاصّات :

*القاصة (ف. أحمد) : لم تذكر اسمها حين نشرت قصتها في صحيفة صوت الجنوب 3\9\1961، وكانت قصتها هي باكورة الكتابات النسائية في اليمن، وقد نشرت قصة أخرى في نفس العام وبعدها اختفت تماما.

وقد أرادت بقصتها الإفصاح عن الكبت والاضطهاد اللذين لطالما عاشتهما المرأة اليمنية، ولشعورها بالخوف من مجتمعها لم تفصح عن اسمها، وإذا عدنا إلى الكاتبات العربيات لوجدنا أن أكثرهن كن يكتبن بأسماء مستعارة كملك حفني ناصف التي سمت نفسها باحثة البادية، وعائشة عبد الرحمن التي تسمت ببنت الشاطئ، وأميرة الحسني تسمت ب بنت بردي، سميرة خاشقجي (بنت الجزيرة العربية)، والأديبة اليمنية سلكت نفس الاتجاه فبعضهن كتبن الحروف الأولى من أسمائهن، وبعضهن استعن بالأسماء

المستعارة فأمة الرؤف حسين سمت نفسها رؤوفة حسن، وسلمى عبد القادر بامطرف تسمت ب(س.ع.ب) فلم تجرؤ المرأة على ذكر اسمها واحتمت بغطاء الاسم المستعار، ولندخل إلى فاتحة القصص النسائية في اليمن.

ظالم يا مجتمع

عنوان جريء وموضوع أجرأ منه قصة فيها نبرة رفض وتمرد، تقع منى بطلة القصة ضحية مجتمع يدينها بذنب لم تقترفه يداها وتدان بتهمة أمها.

وتتذكر منى قصة أمها المسكينة التي أحبت ابن عمها وحدد يوم زفافهما، ووقعا في الخطأ ظانين أنهما سيتزوجان ولكن الأب أعجب برجل غني وزوجه ابنته وكشف أمرها وهكذا بدأت تعيش حياة جحيميه تتلقى اللعنات والاتهامات.

أنجبت لزوجها طفلة هي (منى) وظل اسم الأم على كل لسان واكتفت الكاتبة بقولها سقطت لتوضح مصير هذه المرأة، ثم تموت إثر حادث تاركة لابنتها نفس ملامح وجهها.. وتكبر منى ولم يكن يسمح لها بالخروج إلا إلى بيت الجيران، فتجد في شقيق صديقتها ما يعوضها عن العطف الذي افتقدته في البيت، فيصارح الشاب أهله برغبته في الزواج بها، وما أن تسمع زوجة الأب بهذا حتى تخبر زوجها ليوسع منى ضربا بعصاه دون رحمة، ويتذكر أمها فيصب عليها جام غضبه.

لم تتحمل منى هذه الحياة فهربت، ولم تذكر الكاتبة إلى أين ومع من؟

وفي هذا يقول الناقد والكاتب العراقي د. حاتم الصكر: (إن هروب منى يرمز إلى استمرار الصراع بين النساء والمجتمع الذي يسيطر عليه كبير الأسرة)

*سامية محمود علي:

للقاصة التي نشرت أول قصة لها عام 1976، لها قصة بعنوان (غدا سيعرف كل شيء)، تتكلم القصة عن أب لفتاتين يعامل إحداهما بحنان ويعامل الأخرى بقسوة، فتظهر صورة الفتاة التي تريد مساواتها بأختها، فلربما رمزت الكاتبة هنا للمرأة اليمنية المضطهدة ولأختها التي نالت حريتها في الشعوب العربية الأخرى.

وتنتهي القصة حين تمسك إحداهما بيد الأخرى وتقول غدا سيعرف أبي كل شيء، ففي اجتماع اليدين كناية عن التكاتف، أما لفظة أبي هي كناية عن العهد القديم، ولفظة غدا عبرت عن الأمل والإصرار في سبيل تحقيق هذا الأمل.

* شفيقة زوقري:

ولدت في أسرة مثقفة من عدن1942 وعملت مديرة بمدرسة في عدن وأذيعت قصصها في إذاعة عدن ونشرت في الصحف.

أرملة شهيد

تحكي قصة امرأة توفي عنها زوجها شهيدا تاركا لها ابنتها عهد، فبدأت المرأة بإكمال مهمة زوجها واهتمت بقضايا تحرير البلاد، كانت تحكي لابنتها عن تضحيات والدها ومواقفه المشرفة، وتتذكر زوجها حين كان يأتمنها على أسراره ويستمع لها بانتباه، فيظهر التكافؤ بين الرجل والمرأة، وفي هذه القصة اتجاه من الخاص إلى العام.

اعتدال ديرية:

من مواليد عدن 1949 بكالوريوس أدب إنجليزي جامعة عدن وحصلت على الدراسات العليا من بريطانيا، بدأت الكتابة باسم مستعار هو أمينة.

صوت من الماضي :

ذكرت قصة فتاة باشرت عملها الجديد غير مصدقة بالعمر الذي كتب لها، بهذه البداية نرى انقشاع فترة الظلام التي لطالما عاشتها المرأة اليمنية، ونرى بزوغ نور الأمل بحياة وعمر جديدين، ويظهر صوت البطلة متمثلا في صوت القاصة والتي يبدو أنها معلمة تبدأ بتذكر الماضي، وفي رحلة التذكر تظهر صورة المرأة المضطهدة ويبدأ الاسترجاع الخارجي في القصة حين تتذكر أعز صديقاتها فتقول (وعادت بي الذكريات حين فقدت أعز الصديقات) بهذه الكلمات نفهم وجود ضحية فقدت حياتها أسمتها بضحية الغدر.

ثم تعود لتتساءل ما الذي طرأ عليها لتتذكر الموتى في هذه اللحظة، وما الذي جعلها تتذكر فاطمة التي قتلت بلا ذنب.

فاطمة هنا هي رمز للمرأة اليمنية التي عاشت الظلم، ومما يؤكد رمزية فاطمة هو قولها لقد قتلوها الأوغاد دون رحمة وضربوا الكثيرات، وتستمر الكاتبة في تأكيد الرمزية فتقول أنها تستمد من فاطمة إصرارها لمواصلة سيرها لتحقيق آمال المرأة اليمنية.

فتثبت الكاتبة هنا أن المرأة التي لطالما عذبها المجتمع باضطهادها ما ثارت بثورتها إلا لتحرير النساء الآتيات بعدها، بل إن كل قطرة دم من جروحها كانت هي المشجع للباقيات على المضي في ذلك الدرب.

وبعد التذكر ذاك تقول إن الحاضر يناديها فلتبتسم، فتلمع ومضات الأمل المشرق، وتقول في الأخير إن فاطمة والأخريات سيأتين للعمل معها وتتجلى الرمزية في آخر القصة.

زهرة رحمة الله:

تكلمت عن معاناة المرأة ووصفتها بوصف جميل، حيث لا يفهم إحساس امرأة إلا امرأة، فيقول الدكتور ادوارد الخراط في هذا الصدد: لا أستطيع أن أكتب أشياء لا أعيشها، التمايز موجود على مستوى التمييز الوجودي، فالكاتبة

تحتفظ بالذاتية وتحرص على أن تكون الراوي والشخصية المحورية وربما الشخصية الوحيدة ولا ترضى بالحياد.

الاتجاه الآخر: تتكلم القصة عن فتاة زُوجت دون علمها، أحست بحركة غريبة في البيت، رأت إخوتها فرحين، و رجالا جاؤوا إليهم، وفي اليوم التالي وجدت سيارة فارهة أمام بيتهم، حينها قيل بأن السيارة هي مهرها، وآخر ما قالته لها أمها هو كوني طيبة.

يأتي ذكر الزواج المبكر وعدم أخذ رأي الفتاة بأي شيء، وتشعر بأنها كتلك العنز الواقفة أمامها، ظلت تحدق إليها عبر زجاج السيارة، فإذا بها تفر بعيدا وتختفي، وأخذت تحسد العنز التي عرفت طريقها بينما هي فلا تعرف إلى أين تساق.

وتصف الدكتورة آمنة يوسف هذا المشهد بقولها: (إن هذه الفتاة فشلت حتى في تقليد العنز التي شاهدتها، تفر من مؤخرة السيارة التي قادتها إلى زوجها المجهول، بعد أن دفع المهر واكتفى بإرسال رسوله لإحضارها إليه دون أخذ رأيها) وفي نهاية القصة تؤكد القاصة أن هذا الزوج أخذ يسحب هذه الفتاة إلى الخلف، ويبعد عنها صورة الحقول التي لطالما لعبت بها مع صديقاتها فتقول: يد قوية هوت على كتفها كبلت خطواتها وسحبتها إلى الخلف، أحست بصورة أمها وأبيها وصديقاتها تنزلق بسرعة إلى الخلف.

ظهرت هذه القصة محكمة السرد وأكثرت القاصة من ذكر المونولوجات، وزمن القصة كان متدرجا مع الأحداث، حيث تنتهي القصة بوصول الفتاة إلى المكان المحدد لها.

رمزية الإرياني:

كتبت رواية (ضحية الجشع) وهي أول رواية لكاتبة يمنية، كتبتها وهي لم تزل طالبة في المدرسة.

كانت مجموعتها القصصية _علة يعود _ هي أول الكتب التي طبعت في صنعاء.

يلبس ابني خاتما فضيا :

حوت هذه القصة رمزا جميلا واضحا، إذ تظهر المرأة التي تبحث عن ابنها الذي يلبس خاتما فضيا في إصبع قدمه، وهذا الابن ما هو إلا رمز لحلم الكاتبة، وبحثت عنه كثيرا وظل الجميع يسخرون منها قائلين بأن ما تبحث عنه غير موجود، ظلت تبحث عنه ولم تفقد الأمل في إيجاد هذا الحلم الذي اعتبره الجميع غريبا ووصفوا محاولاتها بالفاشلة.

وتتذكر ابنها وكيف أنها كانت تخشى عليه من التنور أي(المواجهة) وقد يلتقي بأبناء الجيران الأكبر منه سنا فيلاعبوه ويداعبوه، وأبناء الجيران هو رمز لحلم النساء العربيات اللاتي تحررن قبلها، فهذا الحلم هو الذي ظل يلاعب

ويداعب حلم المرأة اليمنية ويناديه ويشد من همته لكي يتحقق كما تحقق هو من قبل. ونتأكد هنا أنها تتكلم عن المرأة العربية بقصدها الأكبر منه سنا.

وعندما تصف ابنها تقول إنه مبتسم دائما (فيه إشارة إلى الأمل)، وما إن تجد ابنها حتى يؤخذ منها، هنا نفهم أن العرف وقف عائقا أمامها ومزق حلمها إربا إربا بمعاونة رجال الأمن والسلام.

تصاب هذه المرأة بحالة هستيرية لتمزق حلمها، فتهوي إلى أسفل المدرج وتنتحر وهي تحتضن رجل ابنها الذي يرتدي في إصبعها خاتما فضيا.

مع هذه النهاية تود الكاتبة تأكيد ما سعت إليه في قصتها، فحلم هذه المرأة الذي لطالما بحثت عنه حقيقي وموجود وغير مستحيل التحقق كما كان يقول الجميع.

فبطلة القصة تموت وهي ممسكة بقدم ابنها لتثبت للجميع صحة ما كانت ترمي إليه ولتشد من همم الأخريات ليكملن الطريق الذي سلكته، وليحصلن على حلمهن حيا لا ميتا كما حصلت هي عليه لتموت إثره.

وهذه المرأة التي ضحت بحياتها كان هدفها أن تشد من همم النساء بعدها ليحققن ما عجزت هي عن تحقيقه.

هنا يموت الحلم لتموت إثره البطلة إذ ما نفع حياتها بدون أمل ولا حلم، فيظهر الرفض للواقع، والرغبة في الموت عل هذا الموت يرسم الخطوة الأولى من خطوات الانعتاق، وبهذا تتضح رموز هذه القصة.

شفاء منصر:

من مواليد 1961. خريجة كلية الآداب قسم الفلسفة، بدأت بنشر أعمالها عام 1982 و عملت في التدريس والصحافة والاذاعة والتلفزيون.

بداية أخرى:

ترسم القاصة في قصتها صورة امرأة تعاني من مخاض الولادة فكان تصويرها متميزا، فهذه المرأة تنتظر مولودها القادم (حلمها) الذي لن يأتي إلا بالتعب والمشقة.. فتعتبر ولادة الطفل دليلا على انفساح الأمل وبعد الولادة تنهمر دموع الانتصار و التطلع للمستقبل القادم في شخص هذا الطفل الجميل.

أمل عبد الله:

كاتبة من عدن بدأت بنشر قصصها عام 1982

هذا الحلم الرمادي:

تتكلم هذه القصة عن ممرضة يخطبها طبيب عاش في أوروبا، فيخبرها أن المرأة هناك صارت تفضل البقاء في بيتها كتلميح لها لكي تترك العمل والمعهد،

هو رجل مثقف ولكنه يرفض أن تعمل زوجته وفي هذا تقول القاصة هدى العطاس:

إن المثقف الشرقي يحتفي عادة بالمرأة المبدعة المثقفة ويقدم نفسه على أنه النموذج الحقيقي للرجل الذي يوفر لها مناخات الاحترام والمساعدة والذي يشجع نشاطاتها، بينما يمارس طقسا آخر مع زوجته فيحبسها ويمنعها عن العمل، وإن كانت مبدعة فهو يجرجرها إلى الخلف قليلا قليلا حتى يبعدها عن أي عمل إبداعي، ويمنعها عن نشر أعمالها.

وبالعودة إلى القصة تتذكر الممرضة طفولتها، وكيف كانت تجمع الحطب وتحمله على رأسها فقد كانت تعمل وما زالت تعمل، وكل الذي تغير أنها الآن في مكان أرقى.

فتفكر بزواجها من الشخص الذي سيمنعها من كل شيء، فتقع بين خيارين أحدهما أن تسحب طلب التحاقها بالمعهد وتنسى حلمها، والآخر أن تتجاهل عرض هذا الطبيب. ويبدو المشهد الأخير واضحا حين يطلبها الطبيب على الهاتف فتطبق السماعة ببطء وتذهب للاعتناء بالمرضى وتلبية حاجياتهم.

نجيبة حداد:

من مواليد عدن 1950 سميت بأم أطفال اليمن، ترجمت أعمالها لعدة لغات، عملت بوزارة الثقافة والاعلام، كما عملت بالصحافة والاذاعة والتلفزة.

نهاية الأحلام:

تحكي القاصة قصة طالبة مراهقة تتعرف على شخص يطلب منها إكمال دراستها لكي تعمل وتشاركه بناء حياتهما، كلمها عن التعاون كثيرا، فلم يعجبها هذا الشيء، وأخذت تتهرب من هذا الشخص المؤمن أن الحياة كفاح.

وكان كل همها (حفلة عرسها والمدعوات وبيتها الخاص)، وحين يتقدم لها ذلك المغترب توافق على الفور، وتترك دراستها وتتزوج رجلا ثريا غير متعلم وتسافر معه لبلده، وهناك تكتشف أنه متزوج ويسكنها في بيت زوجته الأولى، إذ يفرغ لها غرفة واحدة، وهنا تنتهي أحلامها وتغدو وحيدة في بلاد غريبة.

فالفتاة هنا مراهقة لا تعي مصلحتها وسلكت أسهل طريق لها، وقد أشارت دراسة عن المرأة بأن الفتاة المراهقة تعاني من مشكلة ثقافية وهي جهلها بفلسفة الحياة كما أنها تمتاز بدرجة كبيرة من الفضول وحب التجريب.

عزيزة عبد الله :

قاصة وروائية يمنية امتازت بالأعمال الروائية المطولة

البحث عن ولاية:

في هذه القصة نجد امرأة يتزوجها جندي تركي ثم يتركها وهي حامل بابنتها وتظل لاهي بالمطلقة ولا بالمتزوجة.. وحين تتزوج ابنتها وتنجب ولدا ويموت

زوجها، فتشير الكاتبة هنا إلى قضية الزواج بأجانب فلا يلتزمون بأي مسؤولية تجاه زوجاتهم.

وحين يذهب ابن الأرملة للبحث عن ابنة الجيران (ولاية) وعن جده التركي يظهر هنا رمز البحث عن الاستقرار والهوية والرغبة في الانتماء إلى وطن أو ولاية.

د\آمنة يوسف:

قاصة وشاعرة وناقدة تعمل أستاذة الأدب الحديث ونقده والأدب المقارن – جامعة صنعاء.

همسة: تظهر المرأة في هذه القصة رافضة للعادات والتقاليد القديمة فتعبر عن مشاعرها بكل صراحة فتقول: بعيدا عن المعايير الاجتماعية البالية، وتلك الفسيولوجية المضحكة أحببتك وأحبك وأقصى ما أتمناه من الخالق أن يمنحني لحظة أضع فيها رأسي على وسادة صدرك الدافئ ثم للخالق أن يميتني بعدها

تظهر الأنثى هنا جريئة بينما يظل الرجل غير مبال بمشاعرها ويذيقها ضعفا وخنوعا، فتسأله بنبرات المرأة المسترحمة : ألست نصفك الآخر؟ يا لتعاستي حين لا أرى فيك غير ضعفي وقلة حيلتي.

وفي قصة (لا جدوى) ينعدم التفاهم مع الرجل انعداما تاما حيث تقول: خبئي حلمك الساذج واحذري من أن يراه أحد سواك، احذري تماما أتدرين لماذا؟ لأنه لا جدوى من أن تبوحي إليه بحلمك، فهو لن يصغي ولن يفرغ إليك ولن ولن ولن..

ضجيج: يأتي هنا ذكر المرأة حين تخرج من بيتها فكل شيء قابل للانفجار ، ومن كثرة المضايقات تضطر إلى أن تخلع أذنيها عند الرجوع إلى المنزل ، فهي تريد أن تنسى كل شيء.

أنثى:

للقاصة ثلاثة نصوص بعنوان أنثى يظهر فيها هموم الذات الأنثوية المنكسرة، فالمجتمع مليء بالأعين المثقلة والمكائد المرعبة والظمأ القديم، فتقرر بطلة القصة الانتحار والاختناق في قاع اليم على أن تعيش في ظل حلم مستحيل التحقق، وقد أكثرت القاصة من الاستعارات كـ(صندوق الأفكار، وسادة الأحلام المبتورة..) بحكم تجربتها الشعرية.

انكسار:

تظهر بطلة هذه القصة مثقفة، ولكن الرجل يتجاهلها ويظل غير مبال بها فيقول لها: هناك على ذاك المقعد البعيد تفضلي بالجلوس قالها ومضى. ويتجه هذا الرجل صوب أوراق مرتبة أمامه.

فتقول له: ربما تعلم أني أحتفظ بكثير من الأوراق المبعثرة على طاولتي المستكينة

(يتجلى هنا طلب المساواة) وربما تعلم أيضا أن عالمي تماما كعالمك يزدحم بالأفواه المرعبة .

وفي الأخير تقول: حسنا خذ هذه الورقة القادمة إليك من أقصى أقطار قلبي، خذها معك ودعها في زاوية ضيقة من طاولتك المكتظة بالأوراق.

شخير :

تلتفت المرأة المثقفة الواعية في هذه القصة إلى بقية النساء فتتساءل هل يشعرن بمعاناتهن؟ هل يدركن الضغوط الممارسة عليهن؟ ولكنها لا تجد غير الشخير فهن نائمات لا يدركن ما يجري، ولا يشعرن بالظلام الدامس حولهن والظلام هنا هو رمز للتخلف. وهذه المرأة التي لا تجيد سوى الشخير لا تدرك صنيع المرأة المتعلمة من أجل حريتها، واكتشفت البطلة أخيرا أنها ليست الوحيدة وأن هناك نساء يفكرن نفس تفكيرها، ويطمحن نفس طموحها فمدت إليهن يد التوحد وظهر التكاتف بين هؤلاء النساء في سبيل إيقاظ المرأة النائمة من سباتها.

د . رؤوفة حسن:

مواليد 1958 حصلت على الدكتوراه في علم الاجتماع من باريس فرنسا عام 1991عملت بجامعة صنعاء، وفي الإذاعة والتلفزيون والصحافة، توفيت عام 2011.

لهذه الكاتبة قصة تحكي عن رجل متعلم يطالب بالحرية وحين يقرر الزواج يختار امرأة غير متعلمة، ويظل يتكلم عن العدالة والأخوة بين النساء والرجال، وعندما تلد زوجته بنتا يقطب وجهه ويشعر بالخجل من ابنته الوليدة، فالرجل هنا لا يستطيع تطبيق أفكاره التحررية على حياته الخاصة.

نورا زيلع:

صورت في قصتها (قارئة الفنجان) امرأة مظلومة تدخل على العرافة العجوز علها تخبرها شيئا عن مستقبلها يمنحها بصيصا من الأمل ، ولكنها ما إن ترى البخور والدخان تقول: أدرك مع هذا الدخان تحت أي عنوان يندرج مصيري ،وفي أي صفحة يطويني المستقبل.

فتجيبها العرافة: المجتمع ليس بحاجة إلى أن تزيد عليه بائسة أخرى.

فتخرج هذه المرأة من عند العرافة والديدان تسبح من تحت شرشفها[1] (كناية بأنها إنسانة هالكة لا محالة).

أفراح الصديق :

قاصة لها إصدار وحيد هو عرش البنات مجموعة قصصية

زليخا : تتكلم القاصة في هذه الأقصودة عن زليخا يوسف التي اعترفت بحبها بكل كبرياء، وزليخا الآن التي تخاف من إبداء مشاعرها.

أنانية: يسأل الرجل المرأة في هذه القصة عن حبها له وحين يسمع الإجابة يتركها.

فتقول الكاتبة: ذهب إليها يوما وسألها إن كانت تحبه تفاجأت اعتراها الخجل، وانعقد لسانها، فسمع نبض قلبها يجيبه. ابتسم ورحل دون عودة.

نبيلة الزبير:

لها رواية ذكرها الدكتور حاتم الصكر في كتابه (انفجار الصمت في الكتابة النسوية اليمنية) بدت الرواية جريئة إذ نسبت الأحداث لنفسها، فتتحدث الرواية عن شاعرة تتزوج برجل يوهمها بالتفاعل معها كشاعرة وإنسانة،

[1] *الشرشف هو لباس ترتديه المرأة في اليمن يسربل المرأة من رأسها حتى أخمص قدميها لونه أسود كان يلبس في صنعاء بكثرة والأن أصبح قليل الوجود بعد أن استبدلته المرأة بالنقاب و العباءة السوداء ، وأكثر الأدبيات كن يلبسنه وتمردن عليه و كشفن عن وجوههن .

لتكتشف فيما بعد أنه لا يهتم بكتاباتها، وأنه لا يريدها إلا امرأة عادية، فتطلب منه الطلاق.

وحكت تجربتها مع أبيها الذي مرت من خلالها بأجرأ قرار وهو كتابة الشعر الذي يعده المجتمع عيبا على الفتاة. فتقول بطلة القصة (سكينة): الشعر أصبح محور حياتي ولن أتنازل عنه يا أبي.

وحين تكلمت الزبير عن هذه القضية في روايتها استندت على معاناتها ومعاناة غيرها، فنجد الشاعرة اليمنية فاطمة العشبي، تحكي قصتها مع الشعر فتقول إنها عانت كثيرا مع الشعر فقد منعها والدها من التعليم ووقفت الأعراف في طريقها سدا يحول دون وصولها لمبتغاها فبدأت بتثقيف نفسها خلسة عند رجل علم، وأحست بميل إلى الشعر وبدأت بكتابته وحين علم أبوها هم ليقطع يدها، ومنعها من قراءة أي شيء يتعلق بالأدب، حتى إذا وجد ورقة ممزقة أعاد إلصاقها ليكتشف ما الذي كان مكتوبا بها، ثم قرر تزويجها من رجل أمّي يكبرها بثلاثة أضعاف عمرها، وكانت حينها في الثانية عشرة، ولكنها ظلت تتمرد فتخلت عن اللباس التقليدي، وحاولت الهرب، حينها ضربها والدها بعنف حتى أنها أشرفت على الموت فكسر يديها وساقيها وهشم رأسها، وحفر لها قبرا في أسفل البيت وما أن رأت القبر وهي في تلك الحالة فقدت الذاكرة لمدة تسعة أشهر ولم تستردها إلا وهي مع زوجها في بلد غريب، استمرت بالتمرد حتى أخذت الطلاق وعادت إلى عالم الأدب بعدها، وحتى هذا الوقت تقول بأن ليس

هناك تشجيع للمرأة، وأن هناك ألسنة قذرة –على حد قولها- تحاول النيل من المرأة الأديبة.

فنجد أن الوعي المتزايد للمرأة يبرز معضلات أخرى أكثر تعقيدا .

هدى العطاس:

قاصة يمنية اتسمت قصصها بالجرأة في التعامل مع الآخر، وبالواقعية الواضحة، فهي كغيرها من الفتيات كبلت بالحواجز والمحاذير.

وتقول الدكتورة وجدان الصائغ: بأن قصصها امتلأت بالهم الأنثوي وتطلعاته، وتكلمت عن المسكوت عنه.

أنين:

ينفذ النص القصصي عند هدى العطاس إلى خصوصيات يندر التكلم عنها عند البعض.

وهي تحذر الفتيات من الانجرار وراء عواطفهن، فمباركة الأهل لازمة لاجتماع المرأة بالرجل، وإلا فسيكون المصير كمصير الدجاج الذي كانت ترعاه بطلة القصة.

بدأت القصة بإدخال صفية لآخر دجاجة في القفص، حينها تسمع الجيران يتحدثون عن رجل جاء من المدينة، وبسبب جهل الفتاة تنبهر بهذا الغريب وتستجيب له دون أي تعقل، وبعد شهرين تبدأ بالتقيؤ والتألم.

وتقول القاصة: كانت أشباح الليل تتقافز حول صفية المكومة في إحدى الزوايا، يأتيها صوت احتكاك السكين وحدّه بالحجر، وصوت الحشرجة الصادرة من حنجرة الأب، أخذ يقترب منها وأمسك بشعرها، ودوت صرخة وجزّ رأس وبقبق وفار الدم الحار على الأرض، وسقط رأس الضحية ذو الضفيرتين.

ولكي تؤكد الكاتبة أن الضحية هنا ليست سوى المرأة، رسمت صورة هذا القادم من المدينة وهو يدخن سيجارته بلا أدنى مبالاة لما حدث، ويضحك ويتلقى التهاني بمناسبة عرسه.

أروى عاطف :

قاصة وصحافية قال عنها الدكتور عبد العزيز المقالح: إنها استطاعت بلغتها الشعرية المكثفة أن تلغي الفوارق بين القصة والقصيدة وذكر أقصودتها :

أدركت بعد جفاف الدموع ومرور السنين أن لا شيء يستحق البكاء فبكت.

تميزت هذه القاصة بكتابة الأقصودة التي تعرفها الدكتورة آمنة يوسف بأنها: القصة القصيرة التي تصل إلى حجم الكف أو إلى أسطر معدودات وأحيانا إلى السطر الواحد وتتميز بالتكثيف والتركيز والإيحاء وإيقاعها يقترب إلى القصيدة،

مع سيادة عنصر السرد القصصي بالدرجة الرئيسة، فهذا النوع الجديد من الفن يجمع بين القصة والقصيدة.

اتسمت قصص هذه القاصة بالذاتية وكانت قصصها عديمة الزمان والمكان، وكذلك الشخصيات لم تكن محددة.

تحررت منك:

مع أن القصة كانت مليئة بالعواطف التي أفهمتنا أن المرأة لا تستطيع التخلي عن الرجل إلا أن القاصة في الأخير تقول: كنت أتداعى كجدار قديم وأنت تحث الخطى نحوهم أصرخ أنا وقلبي، فتلتفت إلي وفي عينيك أقرأ الجواب، وهم كان قدرك الذي لا مفر منه، لن أملك أن أجبرك ولن أستطيع، تشيعك عيناي حتى تتوارى، أعود لشرنقتي لأسكنها من جديد فيما أطلق أجنحة قلبي للفضاء الشاسع لأتحرر منك.

تظهر رغبة التحرر من الرجل وتظهر الوحدة والانطواء على النفس وهجر العالم المحيط بالكاتبة في قولها أعود لشرنقتي لأسكنها من جديد، فهي لم تخرج من شرنقتها إلا لأجل هذا الشخص.

ميلاد آخر:

هذه القصة مشابهة لقصة شفاء منصر التي تتكلم عن ولادة الحلم، فتقول يفتح عينيه ليرى عينيها تغلق إلى الأبد، هنا رمز لشعور القاصة ببعد حلمها واستحالته، وأن الحلم لا يتحقق إلا بشق الأنفس.

البوح الحرام:

تحتاج القاصة إلى من يفهمها فتقول: ما جدوى ما أحس به إذا كنت لا تدريه؟

وأي عالم سيحتوي ألمي ما دمت لا تحس بما أعانيه ؟

إلى متى ستظل مشاعري شيئا اهمس به لنفسي ؟

أخاف أن يسمعه سواي لأن بوحي به حرام وعيب يجب أن أداريه.

قرار:

تتكلم عن حال المرأة في المجتمع وتتكلم عن المضايقات التي تتعرض لها المرأة حتى إن كانت بكامل حشمتها فتقول : تلف جسدها بعباءتها وتخرج من بيتها مرتبكة الخطى، تجلدها نظرات المارة حين تطأ قدماها رصيف الشارع وتغمض طرفها تتجاهل أفواه الذئاب الفارغة حولها.

خاتمة:

لعل خصائص قصة المرأة اليمنية بدت واضحة بعد هذا التتبع المتواضع، وكان من الواضح أن القاصات لم يخرجن عن أطر محددة، فقد كانت قضاياهن متشابهة وكلها تصب في نفس الموضوع. لقد تاقت القاصة اليمنية إلى الانعتاق من عبوديتها فرفضت بقاءها في زنزانة التقاليد القديمة، والشيء الذي كان يفرق بين قاصة وأخرى هو مقدار الجرأة التي تساعد في كشف المستور والمسكوت عنه في المجتمع، وطالبت بمساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات في سبيل التحرر. بهذا بدأت المرأة في سردها القصصي بتحطيم قضبان الأمس بكل إصرار.

قراءة تذوقية في قصيدة وشوشة

للأستاذ بسام دعيس

بسام دعيس أبوشرخ شاعر فلسطيني، له تجربته الشعرية المتميزة

وشوشة...

**

احكمْ عَلَيَّ

بما تشا

فالقلبُ

بالحبّ انتشى..

عجبًا لصيّادٍ

يُصاد ُ

بسهمِ حبٍّ من رَشا

رشأٍ تمادى صدّهُ

وعلى جراحاتي

مشى

في بوحهِ

في صمتهِ

ملَكَ الشّغافَ وأدهشا

وإذا سألتُ وصالَهُ

أبدى الدلال و وشوشا:

ما كلّ مأمولٍ ينال

فدَع غرامك

في الحشا..

واحلم بوصلٍ في غدٍ

والله يفعل ما يشا

وشوشة،

قصيدة محكمة متقنة رائعة أبدعها الشاعر بسام دعيس، قصيدة من العيار الثقيل قليلة الأبيات كثيرة الإبداع، تستحق الالتفات إليها بتمعن، جاءت هذه

القصيدة على مجزوء الكامل فكانت كاملة الجمال، منذ أن قرأتها أصبت باندهاش غريب، شعرت أنني أمام كلام غير عادي وقصيدة تحوي الكثير والكثير، القصيدة هنا كالقصة شعرية بطلاها صياد ورشأ فماذا حدث يا ترى بين الصياد البارع و الرشأ الضعيف ؟!!

لن أبدأ من العنوان لغاية في نفسي سأتركه حتى النهاية، سأبدأ من البيت الأول و ب\ احكم \ بداية القصيدة فعل أمر، فهل هذا الأمر متجبر متكبر؟

نواصل القراءة: احكم علي بما تشا – لغة استسلام وخضوع تام والسبب؛ "فالقلب بالحب انتشى " هنا في صدر البيت جاءت كلمة تشاء مخففة من الهمزة و كأن شاعرنا بهذا التخفيف يحاول أن يخفف على نفسه حكم الرشا، فأصبحت كلمة (تشا)هنا أكثر رأفة .. و شاعرنا مع أنه يقول هذا الكلام باستسلام وخضوع إلا أنه يترجى كذلك فيقول بين السطور (كن بي رحيما)

ثم إذا لاحظنا الروي هنا: تشا ، انتشى = جناس عذبٌ جميل ، وقفت أمامه متأملة، قلت في نفسي ما دامت هذه البداية فمن المؤكد أن القصيدة تحوي من الجمال الكثير فهذه المحسنات لا يتقنها غير شاعر كبير كبسام دعيس ، نحن إذن أمام تحفة أدبية، ومازلنا في البيت الأول وفي كلمة احكم بالذات ، هنا الحديث الموجه للأنثى \ الرشا يأخذ صيغة المذكر، هل لما يشي به المضمون من التذلل الذي هنا دخلٌ بهذه الصيغة ؟؟ لا لا أعتقد هذا فمن المؤكد أن ثمّة سببًا أقوى وأسمى.

استخدم أغلب الشعراء القدامى هذه الصيغة وخاطبوا محبوباتهم بـ حبيبي، سيدي، مولاي – بعضهم ألزمته مكانته الاجتماعية أن يكتب بهذه الصيغة، و بعضهم كان ينتمي لطائفة معينة كالصوفية مثلا، و بعضهم وبعضهم ...لكني هنا لن أفكر بكل تلك الأفكار وسأضع تأويلا استنتجته رؤيتي الخاصة، علّ شاعرنا هنا وصل لمرحلة تنعدم فيها الأجناس و لشعور يفقد صفة التمايز بين الذكر\الأنثى، فالسمو الروحي قد يكون السبب الرئيس في اختيار هذه الصيغة التي لن يتركها شاعرنا حتى نهاية القصيدة، إذن فالصورة العامة التي نراها في البيت الأول هي

(قلب والهٌ أثمله الحب فرفع راية الاستسلام قائلا: احكم عليّ بما تشا)

في البيت الثاني يدهشنا انقلاب الدلالات وانعكاس المفاهيم:

عجبًا لصيّادٍ

يُصاد ُ

بسهمِ حبٍّ من رَشا

الصياد هنا لا يصيد بل يُصاد، ويرمي بـ سهم حب ... جمال وبراعة في سبك هذا البيت و(عجبا) جاءت في مكانها المناسب كذلك، إذن هنا عكست الأدوار فاتسم الرشا بالبراعة و اتسم الصياد بالضعف، و بالمجاز أسند فعل يُصاد للصياد فكانت دلالته عميقة جدا، و الفعل هنا مضارع (يدل على

الاستمرارية، ومبني لما لم يسم فاعله و في الإعراب إبداع كذلك فنحن نعرف من سيصيد هذه المرة الرشأ وليس الصياد المشهور بالصيد، لذا فنحن لن نجد فاعلا بل نائبا عن الفاعل وسيكون هذا أفضل وصف نصف به مكان الرشأ الإعرابي) ثم يأتي البيت التالي ليشرح =

رشأٍ تمادى صدّهُ

وعلى جراحاتي مشى

يشكو الشاعر هنا صدود الرشأ التي قد تمادى به كثيرا وفوق هذا كله مشى على الجراحات، صورة فيها ألم الشاعر ولا مبالاة المحبوبة ولكن الفعل:مشى يفقد بعضًا من قسوته هنا، إذ أخذ صيغة الماضي فنفهم أنه مشى و لعلّه توقف.

في بوحهِ

في صمتهِ

ملَكَ الشّغافَ وأدهشا

طباق جميل بين البوح والصمت ولكن الأجمل منه هو التقسيم الذي نفهمه هكذا: في بوحه= ملك الشغاف، في صمته= أدهشا

جميل أن يكون الصمت محل دهشة

. وإذا سألتُ وصالَهُ

أبدى الدلال و وشوشا:

هنا دلال و تمنع من الرشا حين يسأله الوصال فيوشوش بـ :

ما كلّ مأمولٍ ينال

فدَع غرامك

في الحشا..

بيت حكمي بليغ وأعتقد أن هذه الحكمة لم يقلها أحد بهذا اللفظ قبل أستاذنا بسام (ما كل مأمول ينال) فيها التفاتة لحكمة المتنبي (ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه..) والجميل الذي أراه هنا أن شاعرنا جعل هذا البيت على لسان الرشا ، وهو بهذا يصفه بالحكمة والبلاغة.

فدع غرامك في الحشا = فيه ترفّع وتكبّر ، وكأننا أمام شخص يهدي شيئا فيُرَدّ ويقال له: دعه في مكانه، صورة قاسية.. فبعد أن رفض الرشا الوصال ها هو الآن يرفض الغرام المهدى إليه من قبل صياد ماهر وبارع لم يعلن خضوعه إلا لهذا الرشا !!

ويزيد الرشا بقوله :

واحلم بوصلٍ في غدٍ

والله يفعل ما يشا ..

هنا كلمة و(احلم) نضعها بين قوسين فهذا فعل أمر آخر نجده في القصيدة وهو على لسان الرشا فكيف سيكون معناه، واحلم بوصلٍ في غد = (دعوة للتفاؤل والحلم علّ اللقاء يكون في الغد)

وإذا جمعنا بين فعلي الأمر، وبين الصياد والرشا، وفكرنا كيف كانت دلالات الحوار باستخدام شاعرنا لفعل الأمر لوجدنا هذه الصيغة:

(احكم، احلم) الأول يضع أمره كله في يدي الآخر، ويطلب منه أن يحكم في أمره فيرد الآخر ب احلم عل اللقاء قريب

وُعد الصياد بوصل في (غد) ولنركز على كلمة (غد) المنكرة، التي تدل أن الوعد مفتوح في أي غدٍ آت، واحتمالات اللقاء مفتوحة مهما تأخر ذلك الغد.

وينهي شاعرنا قصيدته بـ (والله يفعل ما يشا)

ها هو الفعل (يشا) الذي ابتدأ به شاعرنا القصيدة ينهي به كذلك ولكن مشيئة عن مشيئة تختلف، هذه المشيئة أقوى وأكبر نلحظ منه توكلاً تامًّا على الله ورضا بحكمه وقدره، وفيه يسلم الشاعر أمره إلى الله عل الغد يكون أجمل

وبعد كل هذه الشينات المتكررة (تشا، انتشى، رشا، مشى، الشغاف، أدهشا، وشوش ، الحشا، يشا) اجتمعت كلها وحلقت حول شاعرنا فكأنه سمعها توشوش وشوشة لا تنقطع فأسماها وشوشة، كان شاعرنا موفقا جدا باختيار هذا العنوان الذي هو جزء لا يتجزأ عن القصيدة، حيث أن الوشوشة قصيرة وتحوي أهم الأشياء كذلك كانت هذه الوشوشة وشوش بها شاعرنا بهذه الأبيات، و بهذا انتهت حكاية الصياد والرشا بهذه الوشوشة الأنيقة، نعم هي قصة شعرية جاءت بصوت خافت وأسلوب انسيابي فاتن، وشوشة عذبة اتخذت الشينات الهادئة لا الصاخبة والتي قلما نلقى هدوءها، لا نستغرب من هذا الشيء فالذي روّضها هنا هو الشاعر بسام دعيس

أ. فوزي الشلبي والوردة ليست لك وحدك

الأستاذ فوزي الشلبي أديب أردني قدير شاعر وقاص ومترجم، في الشعر هو ذلك الشاعر صاحب النفس الطويل الذي نقرؤه كثيرا في القصائد الدينية والوطنية، يكتب الشعر باللغة الإنجليزية كذلك، أما السرد وهذا ما أنا بصدد التركيز عليه هنا، فله أسلوب مميز، فيه نجد التكثيف والرموز واللغة البسيطة التي تخفي وراءها دلالات عميقة فيها يناقش قضية الوطن المسلوب وعدة قضايا اجتماعية قرأت له مسبقا قصة (لوعة الحرمان) و(علبة العصير) وفيها الكثير من الإبداع والآن ها نحن أمام قصة جديدة له بشكل جديد ومختلف، لا يوجد إسهاب وسرد مطول، هذا الشكل جاء نتيجة ما نعيشه من تطور تكنولوجي، وكما وجدت الأفلام القصيرة ومن ثم الأفلام الصامتة، أرى أن هذا نوع جديد من القصة فيه يقتبس الكاتب أهم اللقطات، وكأني أمام (سكيتشات قصيرة) تشرح لنا في كل واحد منها جزءا من رواية مطولة عنوانها (الوردة ليست لك وحدك)

أظنني مررت بهذا النوع ولقيت ما يشبهه لدى الروائية (هيفاء بيطار) و لكن كان مطولا مسهبا لأنه عمل روائي/ أما أن يكون قصة قصيرة فهذه هي المرة الأولى التي أرى بها هذا النوع من السرد.

البداية كانت رمزية مكثفة تفتح أمام القارئ بعض الأبواب ليدلف لبقية النص، نشاهد أسرة تعيش في سعادة وفجأة جاءت تلك الطفلة المشاكسة لتقطف وردة من المنزل وولت مدبرةْ - الطفلة هنا هي رمز للسفر أو الغربة أو امرأة من بلد غريب فقد دخلت البيت وأخذت أحدا من هناك وهربت به إلى بلدة أخرى.

بدئ النص بتصوير لمكان جميل وكأننا أمام كاميرا تنقل لنا المشهد (برزت وردةٌ من بين المشربياتِ إلى مدخلِ السلمِ الدرجي الصغيرِ المفضي إلى ساحةِ البيت) هل أراد الكاتب بهذه البداية أن يوضح لنا أننا أمام فيلم قصير مكون من عدة مشاهد؟

ومن ثم وبعد هذه الرمزية تأتي بقية الأحداث في شكل اللقطات السريعة، التي اختارها مبدع ذكي فنقل لنا أهم الأحداث بتقنية جديدة

1- الأم تنصح ابنها أن يمسك زوجته، وهل الزواج هنا زواج أم هو اقتران الشخص بمكان آخر وبوطن آخر؟

هنا جاءت لفظة الغربة والسفر والأم تقول لابنها ابق عسى الله أن يصلح بينكما، (لقد تحمَّلتَ غربتكَ عنا سنينَ طوالا.. ولم يفتَّ ذلكَ منْ عضُدي أو احتمالِ صبري، ولقد كنت في خلدي ابنا باراً رضياً مرضياً، ولا يحملنَّك البرُّ بي

أن تختارَ بينَ أمرين في البقاءِ أوالسفر، فما العمرُ إلاّ سفرٌ أوشكَ أن أحطَّ فيه عصا التّرحال!)

نفهم من هذا الكلام أن الأم \ الوطن ومع أنها تريد عودة ابنها إلا أنها تصبر على البعد وتقول له إنها راضية عنه وإنها تتفهم ظروفه، وفي هذه العبارة (فما العمرُ إلاّ سفرٌ أوشكَ أن أحطَّ فيه عصا التّرحال!)عمق كبير وتكثيف ورمزية بديعة.

2- الولد يقرر الزواج وفي نفس الوقت يتذكر زوجته الأولى بحسرة _ قرار وغصة، وجع وذكريات ماض، وابتعاد من مكان لآخر، هنا تصوير للحظات مهمة كذلك فنشاهد بطلنا يسافر لبلد غريب عنه يدرس هناك ويتخرج ويتزوج من ذلك البلد، ويستقر هناك للعمل، ومن ثم يتنقل من بلد لآخر للبحث عن لقمة العيش، إلى أن تضعه زوجته أمام خيارين ___

(آه يا أم نصيف) هذه هي الشخصية الوحيدة المسماة ولهذا علينا التركيز عليها وعلى هذا الاسم، فالزمن هنا مجهول والمكان (غربة) وشخصيات القصة أيضا ليست واضحة.

نصيف وهو النصف فيه الدلالة بالسعي وراء الاكتمال ف(أبو نصيف) نصفه في وطنه ونصفه الآخر متنقل من بلد إلى بلد.

3-(إلاّ أُمّي لو تعلمين ما الأم يا أمّ نَصيف، الأمُّ هي ذلك الوطنُ الكبير!)

هذه لوحدها قصة وهنا نلحظ الاسترجاع وكأن الشريط يعود قليلا للوراء، فنرى عودة الذكريات وبيان سبب الفراق، نعم الأم هي الوطن، ثم ألا نفهم من هذا الكلام (لو تعلمين ما الأم يا أم نصيف؟)... أن الوطن ليس مثله وطن، هي أم ومع هذا يقول لها لو تعلمين ما الأم، الأم هي ذلك الوطن الكبير، أي أنها لم و لن تصل لتلك الدرجة الكبيرة والسامية، والبلد الغريب لن يشبه الوطن أبدا.

4- قرار أم نصيف بالتخلي عنه: أذهبُ إلى أي مكان إلا بلدك

هنا ترفض الزوجة العودة، تمنعه من أمه \ من وطنه.

5- قال لزوجهِ الثانية التي دخلَ بها الآن:

اعلمي أن الوردةَ إذا قطفتِها من حوضِها لنفسكِ، فستستمتعينَ بمنظرِها وعبيرِها يوماً أو يومين، أما إذا تركتِها في موطنِها، فستسعدينَ بمنظرِها وعبيرِها، وسيسعدُ بها الآخرون..

هنا يتجلى الاستدراك ونلحظ بطل القصة وهو يعود لواقعه ولزوجته الجديدة، وبعد تجربته السابقة وتعلمه مما عاشه يقول لها بأن الوردة إذا قطفت من مكانها فستمكث يوما أو يومين وتذبل _ ويشير هنا لزوجته الأولى _ التي لم تطل المكوث معه والتي قطفته من أرضه وذهبت به نحو البعيد.

أما إذا تركت الوردة تنمو في مكانها فستسعد بها ويسعد بها الآخرون (من أبناء وطنه). وبهذه النهاية نفهم البداية، التي كانت مبهمة بعض الشيء، والوردة ليست لك وحدك، نعم ليست لك وحدك عنوان يحمل الكثير والكثير ومعادل رمزي جميل وهو الوردة، والوردة هي ملك لتربتها لوطنها وليست ليد غريبة تقطفها لتمكث ندية يوما أو يومين وتجف بعدها وتموت

النهاية مفتوحة هنا

لذا سأنهيها بهذا الشكل : لن تتكرر المأساة الأولى وستتفهم الزوجة الثانية مراد أبي نصيف، لن تبعد الوردة عن تربتها، وستحتضن الأم ابنها

القصة

الوردةُ ليست لكَ وحدَك!

برزت وردةٌ من بين المشربياتِ إلى مدخلِ السلمِ الدرجي الصغيرِ المفضي إلى ساحةِ البيت. وكانت هذه الوردة تسبقنا للترحيب بالقادمينَ والضيوف، فكان ذلك يسرُّني ويسرُّ أسرتي جدا. وذات يومٍ اقتحمت بابَ البيتِ طفلةٌ صغيرةٌ، فقطفت الوردة وولت مدبرةً فأحزننا ذلكَ جدا.

قالت لهُ أمُّهُ: يا بني أَمسِك عليكَ زوجَك، عسى اللهُ أن يصلحَ بينكما. لقد تحمَّلتَ غربتكَ عنا سنينَ طوالا..ولم يفتَّ ذلكَ منْ عضُدي أو احتمالِ صبري، ولقد كنت في خلدي ابنا باراً رضياً مرضياً، ولا يحملنَّك البرُّ بي أن تختارَ بينَ

أمرين في البقاءِ أو السفر، فما العمرُ إلاّ سفرٌ أوشكَ أن أحطَّ فيه عصا التّرحال!

ضمّخ ملابسَهُ ووجهَهُ بشيءٍ من العطر، إذ عمّا قليلٍ سيدخلُ على عروسِهِ، زوجِهِ الثانية. وقالَ لمّا طفرَتْ من عينيهِ دمعتان: آه يا أمَّ نصيفْ، أنت التي اخترتِ لي هذا الموقف، ولمْ تترُكي عذراً لمعتذرٍ أن يعتذر. ألم نعش معاً عشرينَ سنةً ونيِّفاً؛ إذ أحببتُك لما تخرّجت من جامعةِ بلدِكم فأحببتُها كما أحببتُ بلدي، وعشتُ فيها ما عشتُ ما طاب لي ولكِ المقام. وما كانت زياراتي لأهلي معك والأولاد في البلدِ إلاّ لُماماً، وقد طوّفت بنا لقمةُ العيشِ في بلادِ الغربةِ شرقاً وغرباً هذهِ السنين. هل كان للإلفِ أن يهجرَ إلاّ أنا أمامَ هذا الخيارِ الصعبِ.

إلاّ أُمّي لو تعلمين ما الأم يا أمّ نَصيف، الأمُّ هي ذلك الوطنُ الكبير!

أذكرُ كلماتك جيداً يا أمّ نصيفٍ عندما افترقنا آخرَ الأمر: أذهبُ معكَ إلى أيّ مكانٍ تريدُ أن تذهبَ إليهِ إلا بلدَك!

قال لزوجهِ الثانية التي دخلَ بها الآن:

اعلمي أن الوردةَ إذا قطفتِها من حوضِها لنفسكِ، فستستمتعينَ بمنظرِها وعبيرِها يوماً أو يومين، أما إذا تركتِها في موطنِها، فستسعدينَ بمنظرِها وعبيرِها، وسيسعدُ بها الآخرون..

رؤية في - وداع دون نقطة\ لهبة خياري

تقول الشاعرة الجزائرية د. هبة خياري:

وداعًا أيّها النّورسْ

سأمضي دون أجنحةٍ

لدربٍ أنتَ تعرفهُ

ووجهُ منارةٍ عطشى

تراودني وأحلامي

لأنسى قصّةً حبلى بألفِ قرارْ

وداعًا دهشةَ العمرِ!

سأمضي حيثما تمضي

حروفٌ بتَّ تعرفها

وقافيةٌ وألحانٌ

وأزهارٌ توشوشني بسرّ محارْ

وداعًا جئتُ أعترفُ

لك المجدُ!

وأشواقي

أيا سُمّي وترياقي

بياضُ الزّهرِ من قلبكْ

يطوّقُ خصْرَ أغنيتي

يُلاعبني

يذكّرني.. بأيامٍ ونحنُ صغارْ

وداعًا دمعتي الحرّى

سيبقى قلبك الحرفَ

ويبقى قلبيَ النّقطهْ

أغيبُ ويحضرُ المعنى

كهدءٍ رامهُ الهمسُ

فإنْ غبتَ الكيانُ هوى

فلا معنى ولا أشعارْ

العنوان يحكي مضمون القصيدة __ قرار غير مؤكد ، أرادت شاعرتنا هبة أن يكون الوداع دون نقطة ليبقى باب الاحتمال مفتوحا دون نقطة.

بدأت الشاعرة نصها بقرار وتوكيد (وداعا أيها النورس)

لماذا تودع النورس؟ لأنه رفيقها الذي حلقت معه ذات يوم فوق أحد البحار عند أحد الشواطئ، تعبت من الطيران أو خيل لها هذا الشيء فقررت التوقف. نعم كانت تطير بعيدا وتحلق بأجنحة بيضاء ثم قررت

(سأمضي دون أجنحة)

صعب أن يتعود الشخص على شيء ثم يقرر تركه، وها هي شاعرتنا هنا تقرر التخلي عن أجنحتها، لتسير في درب آخر ....ما هو هذا الدرب؟

لدرب أنت تعرفه – إذن فهي تذهب تاركة له عنوانها عله يأتيها في يوم من الأيام

ووجهُ منارةٍ عطشى

تراودني وأحلامي

ففي خضم هذا القرار تتذكر وجه المنارة، هي تلك المنارة التي تسكن الشاطئ إذن فما زالت الأفكار متجهة نحو ذلك المكان حيث النوارس والبحر والمنارة.

المنارة هنا تطل على بحر بينما هي عطشى لا تستطيع أن تشرب والبحر أمامها تراودها أحلامها أن تغترف قليلا من الماء. هل البحر هنا هو النسيان الذي تتمناه النفس بشدة ؟؟!

فبما أن الرحيل قد تقرر لزم تذوق ماء النسيان، والشاعرة هنا تقع بين الرغبتين النسيان وعدم النسيان

لأنسى قصة حبلى بألف قرار.. هنا رغبة في نسيان (قصة) ولكن هذه القصة ما زالت حبلى بألف قرار، موجع جدا هذا التعبير، ولقد أبدعت الشاعرة في صياغته.

وداعا دهشة العمر!

ها قد عادت كلمة وداعا من جديد، وداعا دهشة العمر، لكن الوداع يبدو هنا غير مرغوب به، فإن الكاتبة تستغرب من نفسها، ولهذا جاءت علامة التعجب بعد هذه الجملة.

بعد هذا تبدأ الشاعرة بتحديد وجهتها

سأمضي حيث ما تمضي

حروفٌ بتَّ تعرفها

وقافيةٌ وألحانٌ

وأزهارٌ توشوشني بسرّ محارْ

ستمضي مع الحرف والقافية واللحن والأزهار.. التي لن تظل صامتة أبدا ...الأزهار هي وحدها من ستخرجها من طريق النسيان حين توشوش لها بسر المحار

نرى هنا عودة للبحر والشاطئ (عالم النورس) والمحار بدوره يسكن البحر ولن يتركها دون أن يوشوش لها بسر

وداعا جئت أعترف

لك المجد! تأتي علامة التعجب بعد هذه الجملة لتشرح الكثير، ثم تستدرك شاعرتنا كلامها فتقول: وأشواقي _ فتعلن بهذه الكلمة أنها ما زالت متعلقة بذلك المكان وأن أشواقها ما زالت تحلق هناك

أيا سمي وترياقي

هنا جمعت الشاعرة بين النقيضين السم و الترياق، أن تشرب سما فتحيا، أو أن تشرب دواء فتموت، نستطيع احتمال الحالتين هنا.

بياضُ الزّهرِ من قلبكْ

يطوّقُ خصْرَ أغنيتي

يُلاعبني

يذكّرني.. بأيامٍ ونحنُ صغارْ

تعود الذكريات التي لا مفر منها وهي ذكريات جميلة بها عبق الطفولة الندية، و لكن ومع هذا تعود كلمة وداعا بالظهور

تأتي كلمة وداعا للمرة الأخيرة فهل هي تشبه سابقاتها

وداعا..... دمعتي الحرى

إذن فهي تودع دمعتها هنا ولكن هل هي تودع حزنها أم من تسبب بحزنها ؟؟! سنكمل القراءة لتتضح معالم النهاية، فبعد تلك الذكريات تغير سياق الوداع وها هي تؤكد:

سيبقى قلبك الحرفَ

ويبقى قلبيَ النّقطهْ

الحرف لا يستطيع الاستغناء عن النقطة والعكس، وهذه صورة جميلة جدا، فالحرف والنقطة متلازمان، هنا الحرف مذكر، وكان في موضع مهم ولكنه مع هذا فهو لا يُفهم أبدا دون(نقطة) – مؤنث ، أما النقطة ما هي دون حرف (لا شيء) إن هذا التعبير بليغ جدا فيه من الجمال الكثير فيه ضعف وانكسار الأنثى، فيه عطاؤها وسخاؤها، فيه كرمها فهي لم تتلبس الحرف ليكون الآخر نقطة بل كان العكس.

أغيبُ ويحضرُ المعنى

كهدءٍ رامهُ الهمسُ

فإنْ غبتَ الكيانُ هوى

فلا معنى ولا أشعارْ

ختمت الشاعرة قصيدتها بعبارات تتسم بالانكسار وبالرغبة في الانتماء ، كي لا يهوي الكيان وكي لا تضيع الأشعار.

أبدعت شاعرتنا هبة في صياغة هذه القصيدة ذات التفعيلة الغنائية الجميلة والروي الهادئ، فأمتعتنا وأطربتنا.

رؤية في مذكرات زوجة (دستويفسكي)

ترى ما هي الرواية التي قال عنها دستويفسكي ‘نها أجمل رواياته على الإطلاق ؟!

سأذكر هنا أحداثها:

ساق القدر فتاة في العشرين من عمرها لتتعلم الاختزال وهو (السماع من الكاتب وتكثيف العبارة ثم اختصار الكلام ومن ثم الكتابة)، وساق القدر كذلك كاتبا مشهورا للبحث عمن يختزل له رواياته، فاقتُرِحَت له هذه الفتاة كونها سريعة البديهة وذكية.

سعدت (آنا غريغوريفنا) كثيرا فقد اختيرت من بين العشرات لكي تختزل لكاتب كبير وعظيم برواياته، ولطالما قرأت له وتأثرت بكتاباته.

بدأت (آنا) بالعمل في رواية (المقامر)، وتعرفت وقتها على دستويفسكي عن قرب، حكى لها الكثير عن حياته واطمأن لها.

بعد إكمال الرواية تسلمت أجرها منه وودعته، لكنها فوجئت بزيارته لها في بيتها، ابتهجت أسرتها كثيرا بتلك الزيارة، أما هو فالتفت نحو آنا ليحكي لها مشروع رواية جديدة، أخبرها بأنه احتار ولم يستطع أن يتوصل لنهاية جيدة،

وبما أن البطلة الرئيسة فتاة، فهو يريد مساعدتها لأنها أعلم منه بما يختلج في نفوس الفتيات.

بدأ يسرد لها حياته الخاصة طفولته القاسية، وحدته بعد وفاة زوجته، كل الملابسات التي حصلت له، وكان من المفترض أن يعود الأديب للحياة من خلال حب يشفيه وينقذه من وحدته.

لم يخطر ببال الفتاة أنها هي البطلة المقصودة، فباغتها مرتبكا: ما رأيك؟ هل تستطيع فتاة شابة أن تحب فنانا عجوزا مريضا مثقلا بالديون؟ لنفترض أن الفنان هو أنا والبطلة أنت فما رأيك؟

أجابته حينها: لو كان الأمر كذلك لأجبتك أحبك وسأظل أحبك مدى العمر.

ابتهج الكاتب واتفقا على الزواج.

لقد كتبت آنا أشياء مهمة جدا عن دستويفسكي، ووضحت سبب انفعالنا عند قراءة كتاباته فهو يكتب أشياء حدثت، بعض الأحداث عاشها حقيقة، إذن فليس من الغريب أن نخاف ونفزع ونبكي ونسعد ونتأثر أثناء القراءة له.

_ فمثلا في روايته (الأبله) التي تتكلم عن شخص مصاب بالصرع، كيف وصف الكاتب تلك الحالة بذلك الإتقان؟

ما لا يعرفه الكثير عن دستويفسكي أنه كان مصابا بالصرع، وقد جاءته أول نوبة وهو في التاسعة من عمره وظل هذا المرض ملازما له حتى وفاته، وقد تكلمت آنا عن نوبات الصرع التي كانت تنتابه بين الفترة والأخرى وكيف قلّت بعد زواجهما.

_ أما عن مشهد الإعدام الذي ذكره في رواية (الجريمة والعقاب) فقد وقف هو نفسه في ذلك الموقف، حين صدر ضده حكم بالإعدام (كان أمرا مدبرا من القيصر) فرأى دستويفسكي الموت بعينيه، وفي آخر لحظة صدر قرار العفو، ولكن ذلك المشهد ظل مرسوما في رأس الكاتب وأصداء تلك التجربة تكررت في العديد من رواياته.

_ أما في رواية (المقامر) فالكاتب كان مولعا بالقمار في فترة من الفترات ثم تركه نهائيا عن اقتناع ورضا.

_ وحين تكلم عن الفقراء ومعاناتهم ما كان ذاك إلا لأنه عاش ما عاشوه وتعرض لمضايقات الدائنين، حتى إنه اضطر أن يرهن معطفه في ليلة شتائية قارسة وعاد إلى البيت متجمدا من البرد وجاءت أصداء هذه التجربة في روايته (المساكين).

_ عانت آنا كثيرة في أول ولادة لها وقد خاف عليها دستويفسكي من الموت، ووصف مشهد تلك الولادة في روايته (الشياطين)، وقد ولدت له يومها طفلة لم تبق غير شهور قليلة ثم توفيت وحزن عليها هو وآنا حزنا شديدا.

_ وفي رواية (الأخوة كارامازوف) في فصل المؤمنات جاء وصف أم مفجوعة بوليدها الصغير، وقد كتب ذلك المشهد إثر وفاة ابنه الذي ورث عنه مرض الصرع فتوفي في إحدى نوباته الشديدة.

_ وحين تكلم عن تلك المرأة التي تتصدق على المساكين ترحما على روح ابنها، وهي تعلم حق اليقين أنه على قيد الحياة، كانت تلك المرأة هي مربية طفليه (لوبوف التي أصبحت روائية فيما بعد، وفيودور الذي سمي باسم والده تيمنا به) وهي امرأة عجوز هجرها ابنها ولم يبعث لها حتى رساله يطمئنها عليه. وقد كان دستويفسكي يحن عليها ويعزها كثيرا ودائما يبعث فيها الأمل بعودة ابنها.

عدا كل هذا كان دستويفسكي يرى تأثير كتاباته على قارئته الأولى (زوجته) فهي تقول في مذكراتها :

عجزت عن الكتابة ذات مرة في موضع من (المراهق) مشهد انتحار الفتاة، فسألني متحيرا:

- ما بك يا عزيزتي أنت شاحبة جدا؟

- وصفك أرعبني

- يا إلهي هل يعقل أن له تأثيرا لهذه الدرجة؟ اعذريني آسف جدا

أما عن مشهد الانتحار ذاك فقد انبهر به كبار النقاد ووصفوه أنه (من آيات الإعجاز الفني)

لكنه مع كل هذا كان متواضعا وأجابهم أن وصف انتحار أنا كارنينا (لتولستوي) يبدو أشد سبكا من وصفه.

كان يقرأ بعض المقتطفات من كتاباته على الناس، وفي مرة من المرات أجهش كل الحاضرين بالبكاء، كان سبب ذلك البكاء هو وصف الحصان القتيل وهو من المشاهد المفزعة والمثيرة وقد صوره ببراعة في (الجريمة والعقاب)

سالته آنا في مرة من المرات: لم لم تتقدم إلي بخطبة عادية ولماذا جئت بتلك المقدمة الطويلة لرواية مختلقة؟!

فأجابها: كنت يائسا، اعتبر الزواج منك تهورا وجنونا، فالتفاوت بيننا رهيب أنا عجوز وأنت في عمر الطفولة وفارق السن بيننا ربع قرن، أنا مريض كئيب سريع الانفعال وأنت مفعمة بالحيوية والمرح.

فقالت له حينها: لا أبدا فالتفاوت بيننا ليس فيما تقول، التفاوت الحقيقي أنك اخترت فتاة متخلفة، لم تقترب شبرا من مستواك الثقافي في يوم من الأيام

أجابها: كنت مترددا أخشى أن أكون مثار سخرية لو رفضت، لذلك اختلقت تلك الرواية ليسهل علي تحمل رفضك، إذ سيكون موجها لبطل الرواية وليس ضدي شخصيا، وبهذا كنت أستطيع الاحتفاظ بصداقتك على الأقل، ولكن على أي حال إن تلك الرواية المختلقة هي أفضل رواياتي على الإطلاق فقد عادت علي بالثمار رأسا.

ليرمنتوف بطل من ذلك الزمان

ميخائيل ليرمنتوف ثاني أكبر شعراء روسيا، تخرج من الكلية الحربية وعمل ضابطا بالحرس الإمبراطوري، بزغ نجمه بعد موت بوشكين مباشرة حين كتب قصيدته الخالدة (موت الشاعر) فكانت تلك القصيدة بمثابة الشرارة التي عم لهيبها جميع أرجاء روسيا.

خاصة بعد أن أدان القيصر وأعوانه، ووعد أنه سيثأر لصديقه بوشكين، فكانت تلك القصيدة هي التي أعطته المجد وأورثته إمارة الشعر، والشقاء الذي كانت نهايته تراجيدية حزينة.

كتب الشاعر الكثير من القصائد الثائرة التي هجا بها النظام الديكتاتوري القيصري، مما أدى إلى نفيه إلى القوقاز وسحب رتبته العسكرية، كتب في منفاه ملحمة (موتسيري) التي كانت ذات بعد فلسفي عميق، وكتب (الشيطان) التي عكس فيها أفكاره ضد العبودية والطغيان.

ونفي مرة أخرى بعد صدور روايته (بطل من هذا الزمان) التي عكس فيها المأساة الاجتماعية التي يعيشها الشعب في ظل حكم القيصر الذي قضى على كل مفاهيم الحرية والسيادة الاجتماعية.

وقد وصلت نسخة من هذه الرواية إلى القيصر وعليها ملحوظة: ها هنا دعوة إلى الثورة!

لم يمض به العمر كثيرا فبعد أربع سنوات من وفاة بوشكين حيكت ضده نفس المؤامرة، حيث جاء رجل غريب يتودد لخطيبته فقرر ليرمنتوف مبارزته، وقتل في تلك الحادثة، كان من الغريب أن يموت أعظم شاعرين في روسيا بحد السيف وبسبب امرأة ما.

مات وهو في السابعة والعشرين من عمره، وعثر فيما بعد على وثائق تؤكد اشتراك القيصر في تدبير تلك المبارزة

سأذكر هنا مقاطعا من قصيدته موت الشاعر:

مات الشاعر

سقط الشاعر

أسيرا للشرف

الرصاص في صدره يصرخ للانتقام

والرأس الشامخ انحنى في النهاية

مات، فاضت روحه بآلام الافتراءات الحقيرة

وقف وحيدا في المواجهة وها قد قتل

.....

وبعد فهل أنتم أبرياء يا من حاصرتم في قسوة

موهبته الحرة الشجاعة

....

واشهدوا الآن أن قنديل العبقرية انطفأ

وإكليل الغار على جبهته ذوى

.....

كيف استطاع هذا اللاجئ الوضيع الانتهازي

الأداة الخسيسة العمياء أن يحتقر أرضنا هكذا

أو يسخر من لغتها وتقاليدها الأصيلة

ولا يستثني مفخرتها الكبرى

فيتمهل ليتساءل ضد من رفع يده

.....

وكانت لحظاته الأخيرة مسممة بالشائعات والهمس البذيء

.....

أيتها السلالة المتعجرفة يا أبناء من اشتهروا بمخازيهم الوضيعة

كالجلادين الذين يخفون نواياهم الحقيرة في أثواب العدالة

متظاهرين بالبراءة من أجل ذبح الحرية والمجد والعبقرية

.....

هناك حكم الرب حكم رهيب ينتظر

وأمام العرش الإلهي لن تنقذوا جلودكم بقذف الأوحال

ولن تستطيع دماؤكم القذرة أن تعوض أبدا

الدم العادل لشــاعر

بوشكين و تأثره بالقرآن الكريم

بوشكين شاعر روسيا الأعظم والذي اعتبره النقاد (بداية البدايات للشعر الروسي) ولد بوشكين عام 1799 في عائلة نبيلة كان الأب فيها مقربا من القصر الروسي، أما والدته فقد كانت حفيدة رجل عربي، ولهذا السبب اطلع بوشكين على العديد من الثقافات، وقرأ كذلك في الأديان وبدا ذلك واضحا في كتاباته.

أجاد العديد من اللغات منها الفرنسية، الانجليزية، الألمانية، الإيطالية، الإسبانية، اللاتينية، الإغريقية، حتى أنه بدأ بتعلم اللغة العربية.

اشتهر بوشكين بكتابة القصص الشعرية ذات النفس الطويل جدا وقد تفرد بهذا الشيء عن غيره من الشعراء، ارتبط بوشكين بالإنسان في كل مراحل حياته فلا يوجد طفل روسي إلا وهو يعرف قصته الشعرية الجميلة (السمكة الذهبية) ولا يوجد شاب إلا وهو يعرف ملحمته الأسطورية (رُسلان ولودميلا) .

كتب الشعر الكلاسيكي والرومانسي وانتشرت أصداء شعره في أنحاء روسيا فقرر القيصر نفيه إلى القوقاز لمدة أربع سنوات، وهناك بدأ بتأليف روايته الواقعية

(يفغيني أونيغين) التي عكس فيها طبيعة المجتمع الإقطاعي، وبسبب هذه الرواية اعتبر مؤسس الواقعية التقدمية في الأدب الروسي.

بعد هذا النفي تم نفيه للشمال ولمدة عامين وفي تلك الفترة كتب تراجيديته المعروفة (بوريس غودونوف) الذي بدا فيها روسيا خالصا كما وصفه دستويفسكي.

سمي بشمس الشعر الروسي، كان شاعرا عالميا فنحن نراه أسبانيا في كتاب (دون جوان)، وإنجليزيا في كتابه (عيد أثناء الطاعون)، وألمانيا في كتابه (مقطع من فاوست)، وعربيا في كتابه (التأثر بالقرآن الكريم).

كان موته مدبرا كذلك من قبل القيصر حين بعث شخصا أجنبيا يلاحق زوجة بوشكين ويطلق عليها الشائعات، كان بوشكين يحب زوجته كثيرا وكان يعتبر نفسه محظوظا جدا بزواجه من حسناء ذلك العصر، فطلب مبارزة ذلك الشخص ولكنه قتل أثناء تلك المبارزة، وتوفي في سبيل الحب كان حينها في السابعة والثلاثين من عمره.

وفيما يلي أعرض مقاطع من قصائده التي تؤكد تأثره بالقرآن الكريم :

يا نساء النبي الطاهرات

انتن عن كل النساء مميزات

شديد عليكن ظل النقيصة

في الظل الجميل للسكينة عشن بتواضع

فرض عليكن أيتها العذارى الحجاب

احفظن القلوب الأمينة

جديرات بالحنان محتشمات

كي لا تلامس وجوهكن نظرات الأرذال الماكرة

وفي قصيدة أخرى يقول :

لكن الملاك ينفخ في البوق مرتين

فيدوي على الأرض رعد السماء

فيهرب الأخ من أخيه

ويتبرأ الابن من أمه

كل شيء أمام الله يحضر مشدوها بالرعب

ويتهاوى الكافرون يلفهم الغبار و اللهب

وفي مقطع آخر يقول :

أوقدت أنت الشمس في الكون

لتنير السماء والأرض

كزيت الكتان مملوءا ينير في بلورة القنديل

ويقول في قصيدة أخرى :

مسافر تعب إلى ربه ابتهل

عطشا أنهك وظلالا أمل

تائها ثلاثة أيام وثلاث ليال

قيضا وغبارا أثقلت عيونه

يرى فجأة بئرا تحت نخلة

متشوقا ركض إلى النخلة

و بنهم أنعش بتيار بارد

عينيه ولسانه الملتهبة

واستلقى ثم غفا قرب أتانه المخلصة

وانقضت عليه سنون عديدة

بإرادة مالك السماوات والأرض

حانت ساعة إيقاظ المسافر

ينهض فيسمع صوتا خفيا:

طويلا ترى غفوت في الصحراء بعمق

فيجيب ها هي الشمس عالية

سطعت من سماء الصباح البارحة

منذ الصباح استغرقت في النوم حتى الصباح

لكن الصوت: يا مسافر نمت أطول

انظر: نمت شابا وها قد صرت شيخا

النخلة فنت والبئر البارد نضب وجف

في الصحراء ردمته رمال السهوب من زمن

وابيضت عظام أتانك

مأخوذا بالرعب المفاجئ ها هو الشيخ

منتحبا هازا برأسه ظهر

وعندها تحققت في الصحراء معجزة

عاد الماضي للحياة في لون جديد

من جديد تنشر النخلة رأسا ظليلا

من جديد يمتلئ البئر بردا وسلاما

وتنهض عظام الأتان البالية

وتكتسي لحما وتنهق

ويشعر الشيخ بقوة وسعادة

جرى في عروقه الشباب المنبعث

ملأت البهجة المقدسة الصدر

وفي أمان الله ينطلق في الطريق بعيدا

الصوت والصورة في روايات إيفان تورغينيف

رواية الآباء والبنون أنموذجا

إيفان تورغينيف كاتب روسي من أبرز كتاب القرن الثامن عشر، وقد اشتهر في فرنسا أيضا كأحد أعلام الأدب في ذلك العصر، كان يجيد الفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات بطلاقة.

برع تورغينيف برسم لوحات جميلة تظهر بين الفينة والأخرى بين أحداث رواياته، وبرع كذلك بإدخال أصوات متعددة نسمعها أثناء تتبعنا لسطور الرواية، قد لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل ما أتى به في هذا الجانب، فرواياته حية بمعنى الكلمة بها روح عصره وأناس ذلك العصر بملابسهم وتصرفاتهم وأصواتهم.

كل هذا جعل من روايات تورغينيف فيلما سينمائيا متسلسل الاحداث مليئا بالأصوات والأشكال والألوان، أستطيع قول أن تورغينيف استطاع ببراعة استدعاء الحواس الست في كتاباته، فغير السمع والبصر يظهر التذوق والشم واللمس، نستطيع التأكد من وجود كل هذا بعد التعمق في قراءة أعماله.

يجب على القارئ أن يتوقع أي شيء قد يسمع صدفة أغنية، وقد ينصت لهمس بعيد، وقد يأسف لصوت ذاك النشيج.

نسمع في رواياته بكاء الأطفال وضحكاتهم، كما تتخلل السطور أغان شعبية روسية يصدح بها الفلاحون، نسمع تلك النبرة الروسية الخالصة الممزوجة بالتفاؤل والسعادة.

نسمع سنابك الخيل وهي تجر عربة ما، أزيز النحل، حفيف الثوب، صوت الرياح وزقزقة العصافير، كما يظهر تمييز تلك الصوات فهذا صوت سعادة وذاك صوت استرحام وذاك يوشك على البكاء، فيمكننا أن نجد كل ما هو مسموع على هذه الأرض.

ويمكننا أن نرى أشكال المنازل ،خضرة الحقول، ملابس الأشخاص، تعابير الوجوه كالخوف، الاستنكار، السعادة، الحزن، الاشمئزاز وغيرها من الحركات.

الشخصيات الرئيسة لهذه الرواية هي:

1- أركادي الشاب الذي يعود إلى والديه بعد أن أكمل دراسة الماجستير

2 - صديقه بازاروف عالم الطبيعة والكيمياء والمفكر الهلنستي المجدد

وتحت هاتين الشخصيتين تندرج بقية الشخصيات الثانوية مثل

1- والد أركادي نيكولاي وعمه بافل شقيق والده

3-والد بازاروف ووالدته العجوزين

وشخصيات أخرى كالأصدقاء وزوجة والد أركادي والخدم.

الأحداث:

يبدأ الحدث برجوع الابن لوالده ومعه صديقه الذي يتنقل معه في كل مكان، ويزوران امرأة أرملة يقعان معا في حبها، يعترف لها بازاروف بحبه ولكنها ترفضه فيعود إلى والديه مقتنعا أنه لم يخلق للحب بل للبحث والطب وعلومه الباقية، يعتزم أركادي الذهاب إلى تلك المرأة علها تتقبله هو، هنا تأتي حبكة الحكاية وتبدأ الأحداث بعدها بالنزول فبدلا من أن يحقق نيته يصرف نظره إلى كاتيا الفتاة ذات الثامنة عشر عاما وهي أخت تلك الأرملة، يطلب يدها ويقرران الزواج، ويتجه بازاروف لمساعدة أبيه ويصاب صدفة بعدوى مرض خطير فتتدهور صحته حتى يموت فتكون هذه هي نهاية الرواية.

المكان:

كان مكان الأحداث متنقلا بين ثلاثة أماكن منزل أركادي، ثم استضافتهما صديقة لهما في منزلها، ومنزل بازاروف. ومع هذا التنقل فلا نشعر بالتشوش أبدا، فالقارئ يشعر بالانسجام مع تلك الأماكن ويشعر بالمتعة كذلك كأنه هو من ينتقل من ضيعة إلى أخرى ومن بستان لآخر

الزمان:

بدأ زمن الرواية يظهر منذ البداية، فحين جلس الأب منتظرا ابنه كان ذلك في العشرين من مايو 1859، ثم تذكر والده الذي حارب عام 1812، وفي عام 1835 تخرج نيكولاي من الجامعة بدرجة ماجستير، وبعام 1848 عاد مكرها إلى قريته فقد توفيت زوجته، وقامت حينها الثورة الفرنسية ومنع قيصر روسيا السفر خارج البلد، وفي عام 1855 اصطحب ابنه أركادي إلى الجامعة وظل معه ثلاثة شتاءات وفي الشتاء الرابع لم يستطع زيارة ابنه وفي شهر مايو 1859 بدا مترهلا أشيب الشعر وهو في انتظار ابنه يظهر الاهتمام بذكر الزمن والتركيز على ذكر التاريخ عند تورغينيف فروايته استوفت كل أركان السرد المعروفة، أما الرواية نفسها فقد ذيلت بعام1962 فكان هذا هو زمن كتابتها..

توطئة:

أنا هنا بصدد توضيح المقاطع التي تدلل أن تورغينيف استطاع بحرفية عالية إدخال الصوت والصورة في كتاباته، أما اللمس فيأتي باستشعارنا الأشياء من خلال وصفه، وكذلك الشم يتجلى في أوصافه الدقيقة للروائح المختلفة، أما عن الذوق فنحن نتذوق في رواياته مختلف النكهات فنجد مثلا الشاي بالليمون، شاي بالقشدة، حساء الكرنب، حساء البنجر وهذه شوربات مشهورة في روسيا، شتى أنواع المربى الذي تصنعه المرأة في البيت، البسكويت، الزبدة التي تدهن على الخبز، وكذلك شراب الكاكاو الساخن .....وغيرها من

الأشياء التي نشعر بطعمها في الرواية، بهذا لست مخطئة بأن هذا الكاتب الكبير استطاع أن يشد كل حواسنا فلم يصعب عليه شيء لأن كتاباته جذبتنا كلية إليها.

ظهور الصوت والصورة في الرواية:

تبدأ الرواية بوصف الأب المنتظر عودة ابنه

سال السيد خادمه الشاب ذا الوجنتين الممتلئتين، والذقن المكسو بزغب يميل إلى البياض، والعينين الصغيرتين الذاويتين وكان شعره مدهونا، وظهر قرط فيروزي يتدلى من إحدى إذنيه.

ثم يظهر وصف السيد نيكولاي: كان السيد الذي تجاوز الأربعين قد خرج حاسر الرأس، بمعطف مغبر وسروال مخطط ذي مربعات. فيأتي هنا وصف الملابس والهيئة الخارجية للشخص وملامح الوجه كذلك.

تنهد السيد وجلس على مصطبة فلوى ساقيه تحتها وأخذ يتذكر زوجته المتوفاة، التي اعتادت على ارتداء قلنسوات فاخرة وفساتين حريرية ذات حفيف صاخب.

هنا يصف ملل الشخص وطول انتظاره وفي كلمة حفيف صاخب يظهر الصوت بتقنية جديدة فقد وصف بالصخب، وفي مقطع آخر جاء وصف فستان صديقة بازاروف بان له حفيفا رقيقا.

وأثناء انتظاره تذكر والده كذلك حين كان يبعث لهم رسائله المكتوبة بحروف عريضة وبخط متقن على ورق رمادي اللون ويذيل الرسائل بكلمات مرسومة بالتواءات زاهية. هنا يظهر لون الورق وشكل الخط.

ثم يعود ليتذكر زوجته وكيف كانا يطالعان الكتب معا، ويعزفان على البيانو بأربع أيد، وينشدان الأغاني بصوتين .هنا صوت وصورة كذلك.

ثم طأطأ رأسه وأخذ يتفحص درجات دكة المدخل البالي، كان فرخ دجاج كبير زاهي اللون يتمشى عليها برزانة، ويصفعها صفعات شديدة برجليه الصفراوين الكبيرتين، ألقت قطة ملوثة نظرة غير ودية عليه وهي تتناعس على الدرابزين، كانت حرارة الشمس لافحة ورائحة خبز الجودار الساخن تفوح من ممر الخان الداخلي شبه المعتم ....هبطت حمامة رمادية بدينة على الطريق، وأسرعت ترتشف الماء من بركة قرب البئر، وصوب نيكولاي عليها نظراته بينما التقطت أذناه طقطقة عجلات تقترب .

يظهر الوصف بدرجة عالية من التقنية والاهتمام بأدق التفاصيل، كنظرة القطة غير الودية التي تتناعس، والحمامة البدينة وجاء وصف انتظار الابن جميلا للغاية فلم نشعر بالملل الذي شعر به الأب من شدة شوقه لابنه.

نهض نيكولاي بلمح البصر وسلط نظراته على طول الطريق، كانت هناك عربة تجرها ثلاثة من الجياد ولاح من العربة شريط القبعة الطلابية، وبدت ملامح

الوجه الحبيب....هرع ملوحا بيديه وبعد لحظات لامست شفتاه خد ابنه الأسمر المغبر الذي لم ينبت الشعر عليه بعد.

دعني أنفض الغبار يا أبتي كيلا ألوثك قال أركادي بصوت فتي جهوري مبحوح بعض الشيء بسبب السفر. نسمع صوت الشاب هنا بوضوح تام فقد وصف بحرص مقصود هنا.

رد عليه أبوه بابتسامة وطبطب مرتين على ياقة معطف ابنه، ثم اتجه بعدها بخطوات متسارعة وهو يتمتم: إلى هنا عجلوا بإخراج الجياد. وصف خطوات الوالد وكيفية نطقه لتلك الكلمات.

ثم يأتي لوصف الصديق بازاروف حين صافحه نيكولاي أطبق بشدة على يده الوردية العارية التي مدها له الشاب بتلكؤ. يظهر هنا الكيفية التي استقبل بها الشاب لوالد صديقه وحين سأله عن اسمه أجابه بصوت رجولي متراخ وأزاح ياقة قميصه فبان وجهه كله، وجه نحيل مستطيل بجبهة عريضة وأنف مسطح في أعلاه ومدبب في أسفله وعينين واسعتين خضراوين بعض الشيء وفودين متدليين بلون الرمل، وانطبعت ابتسامة هادئة لتزين هذا الوجه الذي ينم عن ذكاء وثقة بالنفس.

كادت شفتا بازاروف الرقيقتان تنفرجان عن ابتسامة، ولكنه لم يرد بشيء بل اكتفى برفع قبعته ولم يكن شعره الكث الطويل الأشقر ليحجب النتوءات

العريضة على جمجمته الضخمة. هنا وصف لابتسامة بدأت بالتكون ثم توقفت.

أخذ نيكولاي يمسح جبهته وحاجبيه بيده الأمر الذي يدل دوما على استحيائه وتوتره الداخلي، وفي لقطة أخرى نراه قد ازداد احمرارا من شدة الانفعال والخجل. يظهر الكاتب هنا بصورة المحلل النفسي الذي يحلل الحركات.

ويتهادى إلينا صوت نيكولاي أيضا وهو ينشد لبوشكين: أيها الربيع يا فصل الغرام ما أشد حزني لقدومك.

يتمشى أركادي مع والده في الحقول فتظهر هذه الصورة: الحقول تمتد بعيدا حتى الأفق وهي ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى ،وفي بعض الجهات لاحت غابات غير كبيرة، وكانت المنخفضات المطرزة بشجيرات واطئة متباعدة تتلوى، فتعيد إلى الأذهان صورها المرسومة على الخرائط القديمة المتبقية من عهد يكاتيرينا. وصادفوا أنهارا بضفافها المتآكلة وبرك صغيرة عليها سدود متداعية، وقرى فيها أكواخ واطئة تحت سقوف قائمة مهدمة حتى منتصفها في الغالب، ومستودعات مالت أركانها بجدرانها المجدولة من العيدان والأغصان، وبواباتها تساقط طلاء جدرانها في بعض الأماكن وأخرى خشبية، وكل الفلاحين مشعثين على خيول هزيلة، وأشجار الصفصاف تنتصب على جانبي الطريق بلحائها الممزق وأغصانها المكسرة، وكانت هناك بقرات معروقة متحشفة، كأنها منهوشة حتى العظام، تقضم العشب بنهم في المنخفضات. فتظهر هذه

الأوصاف شجيرات واطئة، ضفاف متآكلة ، سدود متداعية سقوف مهدمة، خيول هزيلة وبقرات عجاف، ولكن يظهر التناقض الكبير بين هذه الصورة والصورة التي تليها والتي تمتلأ نضرة وتصدح أرضها بأجمل الأصوات.

كل هذا شيء لا يبشر بخير، ففكر أركادي بأن كل هذا يجب أن يتغير، وتذكر حين كان الربيع في أوجه وكل شيء حواليه من اشجار وأعشاب في خضرة ذهبية يانعة، وفي كل مكان تنساب أصوات القبرات الرنانة بلا انقطاع، والزقازيق تارة تنعق محومة فوق المروج المنخفضة، وتارة تتراكض صامتة في كومة ترابية إلى أخرى، وغربان القيظ تتمشى سوداء جميلة في خضرة سنابل الربيع الغضة، كانت هذه الغربان تختفي في الجودار الذي ابيضت سنابله قليلا، ثم تلوح رؤوسها في أمواج السنابل الدخانية اللون، وبعد هذا ألقى على أبيه نظرة مرحة. نرى جمال ودقة الأوصاف ووصف النظرة التي ألقاها على أبيه.

ويظهر وصف آخر، حين خرج بازاروف يتمشى في الحقل، فرأى في البركة مياه قليلة جدا، وكان طعم ماء البئرين مالحا بعض الشيء، ولم تنم كما يجب إلا تعريشة الاستراحة المكونة من الليلاك والأقاصيا. في هذا الوصف نذوق ماءا مالحا بعض الشيء.

ويُظهر لوحة طبيعية أخرى: حل المساء واختفت الشمس وراء حرج الحور المنبسط على بعد نصف كيلو متر من البستان، كانت ظلاله تمتد بلا نهاية عبر

الحقول الساكنة، ومر فلاح على ظهر فرس بيضاء، تسير جنبا في الدرب الضيق المعتم على طول الحرج، كان مرئيا كله بوضوح، كله حتى الرقعة على كتفه بالرغم من الظلال التي تلفعه، وكانت أشعة الشمس بدورها تخترق الحرج وتنساب عبر الأجمة فتغمر جذوع الحور بضوء دافئ جعلها شبيهة بجذوع الصنوبر وجعل لون أوراقها نيليا، وتشهق فوقها سماء زرقاء باهتة خضبها الشفق بلمسات خفيفة، كانت سنونوات تحلق عاليا وقد هدأ النسيم كليا، وأخذ النحل يئز بكسل وخمول بين أزهار الليلاك. صورة متكاملة بها ألوان متعددة فالفرس بيضاء والأوراق نيلية والسماء جمعت بين لونين الأزرق والأحمر. وظهر الصوت كذلك في أزيز النحل، ليس هذا فحسب فقد وصف الحال كذلك فقد كان النحل يئز بكسل وخمول.

قرر الصديقان زيارة أهل بازاروف، وأثناء رحلتهما لاحت على صفحة هضبة منحدرة القرية الصغيرة التي يقطنها والدا بازاروف، وإلى جنبها بدت وسط أجمة من صغار البتولا دار غير كبيرة من دور النبلاء وسقفها مغطى بالقش، وعند أول بيت قروي كان فلاحان مهندمان يتشاجران. يأتي وصف هذين الفلاحين مناقضا لوصف الفلاحين السابقين المشعثين.

أطل بازاروف من العربة واشرأب أركادي بعنقه من وراء ظهر رفيقه، فرأى في مدخل الدار رجلا نحيفا فارع القامة بشعر أشعث وأنف دقيق كمنقار الصقر، ويرتدي سترة عسكرية عتيقة مفتوحة الأزرار ويضيق عينيه بسبب أشعة

الشمس. عانق بازاروف أباه فارتفع صوت نسائي مرتعش، فتح الباب على مصراعيه وظهرت عجوز متكورة قصيرة القامة في قلنسوة بيضاء وبلوزة زاهية قصيرة، تأوهت وتمايلت وكادت تسقط لولا أن أسندها بازاروف، طوقت يداها الممتلئتان عنقه على الفور والتصق رأسها بصدره وساد الصمت كل شيء ما عدا نشيجها المتقطع. الصورة واضحة والصوت هنا بدا مرتعشا ثم انتهى بنشيج متقطع.

بعد هذا يأخذ العجوز بالتنفس بصعوبة ويضيق عينيه أكثر من السابق، أما الأم فأبعدت وجهها المتيم المدعوك المبلل بالدموع عن ابنها دون أن ترفع يديها عن عنقه ونظرت إليه بعينين مغتبطتين.

بعد هذا يظهر الأب مضطربا من السعادة فترتعش شفتاه وحاجباه وذقنه يهتز من شدة الفرحة. وحين ذهب أركادي للنوم وُصفت الغرفة التي تفوح منها رائحة النعناع بالإضافة إلى جدجدين كانا يتناوبان الصرير على نحو منوم وراء المدفأة. هنا نشم تلك الرائحة الزكية ونسمع ذلك الصرير ونشعر بدفء المدفأة أيضا.

يظهر الوالد في صباح أحد الأيام وهو يغني: سنشرع لنا قانونا لعيشة سعيدة

ثم يأتي هذا الوصف: انتصف النهار وبدت الشمس لافحة من وراء حجاب رقيق من الغيوم البيضاء كان الصمت يلفع كل شيء ما عدا الديكة التي

تتصايح بحماسة في القرية مثيرة في فؤاد كل من يسمعها إحساسا غريبا بالنعاس والضجر وفي مكان ما في أعالي الأشجار رن كهتاف متباك نعيق نسر فتي لجوج وفي ظل كومة عالية من الأعشاب المجففة افترش هنالك الصديقان حزمتين من حشيش يابس مخشخش احتفظ بشيء من خضرته وعبقه. هنا نسمع صوت الديكة الحماسي، أما عن النسر فقد وصف بوصف حزين فهو ذلك المتباكي اللجوج، وظهر صوت خشخشة الأعشاب المجففة، أما عن الصورة فهي صورة الشمس التي تظهر من وراء حجاب رقيق من الغيوم البيضاء، ولا ننسى العبق الذي فاح من الحشيش الأخضر.

وفي أحد الأيام بينما كان الصديقان يتجادلان يقول أركادي فجأة انفصلت ورقة اسفندان جافة وها هي تسقط على الأرض بشكل يشبه كل الشبه تحليق الفراشة أليس ذلك غريبا إن أكثر الأمور كآبة وموتا شبيه بأكثرها فرحا وحياة. وفي وصف لأحد لقاءات أركادي بصديقته كاتيا في ظل شجرة دردار باسقة في بستان جلست كاتيا مع أركادي على مصطبة معشوشبة وعلى الأرض قربهما ربضت الكلبة فيفي ولوت جسمها الطويل على نحو رشيق بالشكل الذي ينعته الصيادون برقدة الأرنب ولزما الصمت أمسك أركادي بكتاب وراحت هي تلتقط من السلة ما تبقى فيها من فتات الرغيف الأبيض وتلقي به إلى مجموعة صغيرة من العصافير كانت تتقافز وتزقزق بما يلازمها من تهور وجبن عند قدميها تماما، كان نسيم خفيف يداعب أوراق الدردار ويحرك بهدوء بقعا

ضوئية ذهبية باهتة إلى قدام وإلى وراء في الممشى القاتم وعلى ظهر فيفي الأصفر. تتجلى هنا عدة ألوان وأصوات وأشكال.

وكان ظل متوازن ينسكب على أركادي وكاتيا ومن حين لآخر يلمع شريط من الضوء الساطع في شعرها ،لزما الصمت ثم قال أركادي إن الدردار اسم على مسمى فليس هنالك شجرة تضاهيها في خفتها وشفافيتها.....ودار بينهما حديث طويل إلى أن تبدأ كاتيا بإلقاء فتات الخبز بسرعة وبحركة شديدة من يدها فتطير العصافير بعيدا قبل أن يتسنى لها أن تلتقط الفتات، وفي لقاء آخر لهما يتهادى إليهما صوت أخت كاتيا وهي تحدث بازاروف ولكن الريح تهب وتوشوش الأوراق وتطير الكلمات بعيدا، ظهر تداخل عدة أصوات هنا فبينما كانا يتحدثان دخل حديث بازاروف وأخت كاتيا ثم جاء صوت الريح وهب بدورها حركت أوراق الشجر المتساقطة، بعد كل هذه الجلبة عاد الحديث الأول فطلب أركادي كاتيا للزواج.

يأتي بازاروف ليودع صديقه الذي نوى الزواج فأشار له أثناء توديعه إلى زاغين جاثمين جنبا إلى جنب على سقف الإسطبل وقال له انظر وتعلم، سأله أركادي عن قصده فقال: كيف؟ هل أنت ضعيف إلى هذا الحد في علم الطبيعة؟ أم نسيت أن الزاغ طير يحافظ على الأواصر العائلية؟ إليك مثالا يحتذى. وداعا سنيور، هدرت العربة وتهادت.

صورة الزاغين المتقاربين هنا كانت ظاهرة مع صوت هدير العربة التي نقلت الصديق عن صديقه للأبد.

يعود بازاروف إلى والديه فيسمع هناك فلاحين يغنون: حان زمان الوداد والقلب ينبض بالهوى، وهي إحدى الأغاني القديمة.

ثم يسمع فلاحين يتكلمان عن الضريبة فيقول الفلاح ولم يعد في صوته أثر للهجة الترتيلية الخانعة بل ترامت لهجة مستهينة قاسية. تتدفق أنغام الأغاني هنا ويظهر وصف دقيق للهجة بالصوت الخانع ونظيره الصوت القاسي.

يبدأ بازاروف بمساعدة والده في الطب ويعالج أبناء قريته، وأثناء تطبيبه لأحد المصابين بالتيفوئيد يجرح أصبعه فيصاب بالعدوى فيمرض ويموت.

ويظهر آخر وصف لهذه الرواية حزينا كئيبا، فهو وصف المقبرة والعجوزين المسكينين بداخلها.. هناك مقبرة ريفية صغيرة في أحد أرجاء روسيا النائية وهي شأنها شأن جميع المقابر ذات منظر كئيب فقد اعشوشبت منذ زمن الخنادق المحيطة بها وأزيحت الألواح الحجرية عن أماكنها جميعا كما لو أن أحدا قد دفعها من الأسفل وبالكاد تعطي شجرتان أو ثلاث ظلالا شحيحة، وتجول الأغنام بين القبور دون عائق ولكن بين تلك القبور قبر لا يمسه انسان ولا يدوسه حيوان، الطيور فقط تحط عليه وتصدح عند الفجر، في هذا القبر يرقد بازاروف، ومن قرية غير بعيدة غالبا ما يتردد عليه عجوزان بلغا من

العمر عتيا يسيران بمشيتهما المتثاقلة وهما يسندان بعضهما البعض وعندما يقتربان من السياج يهبطان، يركعان على ركبهما ويبكيان بمرارة لأمد طويل.

قراءة في رسالة الغفران للمعري

رسالة تأخذنا لجنة الخلد، نشاهدها نتمشى بها نستمع لحوارات أهلها، وننبهر بتلك المناظر الساحرة الخلابة، رسالة الغفران فلسفة عربية أصيلة، أبدعها المعري لتفوق ملهاة دانتي جمالا ومدينة أفلاطون روعة، ولا ننكر تقليده لأسلوب الحوار لدى أفلاطون وسقراط، اتسمت عباراته بالميتافيزيقية العالية، ولكنه مع كل ذاك الجمال نجده في أحيان كثيرة يخرج من الجو الخيالي والفلسفي، ليستطرد في شرح مسألة نحوية أو صرفية، ويناقشها في شكل محاورات.

سمي المعري برهين المحبسين، واشتهر بدمامة خلقته، ولم يؤثر كل ذلك على رؤيته الفلسفية الثاقبة، فقد استقى فلسفته من القرآن الكريم والسنة النبوية، فكان كثير التأمل عميق الخيال، ميالا للاستطراد بسبب ثقافته الواسعة واطلاعه على علوم عصره، فنراه ذلك الموسوعي الذي يتحدث تارة عن الفلسفة، وتارة عن النحو، وتارة عن اللغة.

ويعتبر كتاب رسالة الغفران مهما بمحتواه، لاسيما وقد حوى فلسفة نادرة لم يسبق أن تطرق إليها أحد غير المعري، صاحب البعد الفلسفي الواضح.

اعتمد الفلاسفة العرب على العقل واعتبروه أداة المعرفة الإنسانية ووسيلته المنطق وقد أعجب فلاسفة المسلمين بشفافية أفلاطون ونزوعه نحو عالم علوي

(عالم المثل) حيث الكمال والخير والحق والجمال، وهذا ما صنعه المعري فقد تكلم عن عالم المثل، وبسبب ثقافته وعلومه الإسلامية واطلاعه على الكتب السماوية، فقد جعل عالم المثل هو الجنة بعينها، فتخيل الجنة التي تخلو من الحزن والبؤس والمرض والجوع، أرض الخلود وجعل سكانها أشخاصا معروفين من الشعراء والأدباء والعلماء والخلفاء، فإذا بهم يتعارفون على بعضهم ويتحاورون ويتحدثون ويتذكرون أعمالهم في الحياة الدنيا.

كانت لغته معقدة جزلة وألفاظه معجمية، لذلك كان يشرحها ويذكر معاني مفرداتها، وكما أن كلامه كان مليئا بالسجع مثل: (وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها مأجور، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع، وتعيب من ترك أصلا إلى فرع، وغرفت في أمواج بدعها الزاخرة، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة .....الخ.

ويحكي لنا المعري أحداث رسالته الغفرانية كأنه يعيش مع شخصيات أرض الغفران ويتابع يومياتهم وتصرفاتهم، وكان كثير الاقتباس من القرآن الكريم.

وجعل شخصيات رسالته يتلون القرآن ويستشهدون به، كما وجدت شذرات نقدية عن الشعراء والأدباء فكان شاعرا فيلسوفا، ونحويا لغويا حين ذكر تلك اللهجة التي كانت في اليمن فتنطق كلمة مجبور ب مكبور وحجر ب حكر.

وتكلم عن أشجار الجنة وأن كل شجرة تأخذ ما بين المشرق والمغرب، وذكر أواني الجنة التي على هيئة طيور سابحة، كالكراكي والطواويس والبط والمكاكي (وهي طيور حسنة التغريد).

ذكر النابغة الذبياني الذي قال إن سبب وجوده في الجنة هي حجته لبيت الله في أيام الجاهلية، ثم يقول بعدها إنه لم يدرك رسول الله حتى تسمى زيارته للبيت حجة.

ذكر استغراب الناس من اجتماعهم في الجنة، ثم يستدلون بالآية الكريمة(وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) وأيضا بقوله : (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)

وظهرت كلمة رحمكما الله وقد فعل، وما قال هذه الكلمة إلا ليدلل تواجده في الدار الآخرة، التي يرحم الله بها عباده.

وتكلم عن الآية الكريمة القائلة (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)، فأهل الجنة يأكلون من طيباتها ويشربون من شرابها، الذي خزنه الله لعباده المتقين.

جعل النابغة يتنادم مع بعض أصدقائه، فيشرح لهم حذقه وبراعته، حين تكلم عن امرأة النعمان بن المنذر، دون أن يكون السياق مغضبا للنعمان، بحيث نسب الكلام كله للنعمان قائلا زعم الهمام .....فحكى لنا هذه القصة وكيف نال رضا النعمان، ونرى أن تبريرات المعري كانت أكثرها من نسج خياله، فتعمق الفكر يجعل شخصا كالمعري يتوقع مسببات الأسباب.

وصف مشهدا من الجنة، فيقول ويمر رف من إوز الجنة، فلا يلبث أن ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لأمر، ومن شأن طيور الجنة أن تتكلم فيقول: ما شأنكن؟ فيقلن: ألهمنا أن نسقط في هذه الروضة فنغني لمن فيها، فيقول على بركة الله القدير، فينتفضن فيصرن جواريا كواعبا، يرفلن في وشي الجنة وبأيديهن المزاهر.

فإذا بنا نسمو معه لتلك الرياض، ولذاك المكان المليء بالإوز الناطق، يخاطب الناس ويغني لهم، ثم يتحول إلى حوريات جميلات مكتسيات بثياب الجنة، فهذا الشيء لم يذكر في القرآن بالنص الصريح، وما ذكر هو وجود الحور العين، وقد ذكر وصفهن في الكتاب الكريم والسنة النبوية، أما عن تحول الإوز ففيه بعد أسطوري واضح، فقد كان المعري مطلعا على الأساطير اليونانية .لهذا نجد ظلال ثقافته ترتسم على أوراق رسالته.

وبعد أن رسم تلك اللوحة الرائعة، يقول وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى جلت عظمته وعزت كلمته، إذن فهو يقول إن ذلك الوصف ليس بمحال على

الله القدير على كل شيء، وقد جعل تلك الجواري مغنيات شاعرات فيُطلب منهن قول الزجل وخفيفه وأخاه الهزج وذفيفه، وبعد طول استطراد يقال لها ألم تكوني إوزة طائرة؟ فكيف لك أن تغني هذا الغناء؟ وكيف لك أن تقولي هذا الشعر؟ فتجيب قائلة: سبحان من يحيي العظام وهي رميم.

ويذكر قصة الشاب الذي مر بمجموعة من الشعراء ويصف الشاب بقوله _ لا أثر للهرم عليه_ فسكان الجنة كلهم في عمر واحدة لا تتجاوز الثلاثين.

وعن سبب تسميته للكتاب رسالة الغفران، فقد جعل المغفرة هي سبب تواجد جميع تلك الشخصيات في الجنة، فالله غفور رحيم تواب وجعل كلا منهم يذكر سبب تواجده في الجنة، أو بالأصح سبب المغفرة له.

فمثلا يذكر لبيد حين وجه إليه السؤال الآتي: فما بالك في مغفرة ربك؟ وبهذا فجميع من في رسالته قد غُفر لهم وأُسكنوا ببلد المغفرة، ولبيد يقول إنه ندم على قوله الشعر في الدار الخادعة، فقد اعتبر الشعر جرمه الدنيوي الذي يندم عليه. ذكر آيات تدلل على مغفرة الله لعباده مثل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

وقد أبدع في الأبيات التي ذكرها عن خازني الجنة والنار، فتكلم عن خازن الجنة بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان

فغير الكلمة الأخيرة لتكون ورضوان، وتكلم عن خازن النار زفر بقوله

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما .. وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فغيرها إلى زفر

ويذكر أن الناس يتقربون إلى الخازنين بهاذين البيتين الشعريين، ولكنهم لا يلقون أي استجابة، فيقولون حينها أنهم كانوا يتقربون في الدار الذاهبة للرئيس أو الملك بالبيتين أو الثلاثة فيجدون ما يحبون، وقد نظم فيهما ما لو جمع لصار ديوانا ولم يجد منهما شيئا.

وحين عرّف الشعر جعله مرتبطا بالجن فقد كان مؤمنا بفكرة الهاجس.

تحدث عن أهوال الحساب، ويوم الحشر وزبانية الجحيم وصحيفة الحسنات، وذكر الحوض الذي يسارع الناس للشرب منه، وإن شربوا منه فإنهم لا يشعرون بالظمأ بعده.

وذكر آية (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وشرح هذا الموقف إن الكفرة يحملون أنفسهم على الورد فتذودهم الزبانية، بعصي تضطرم نارا فيرجع أحدهم وقد احترق وجهه أو احترقت يده.

ثم ذكر قصة الرجل الذي يتأمل في شفاعة الرسول الكريم (ص)، ويقول إنه لم يكن يفرغ من كتاب له إلا وصلى على محمد وآله في آخره.

وأدخل إلى ذلك المشهد فاطمة الزهراء، وأولاد الرسول القاسم وعبد الله و إبراهيم. فيقول إن إبراهيم ابن الرسول الكريم، أصعد الرجل على حصانه النوراني، ويظهر الحدث الأسطوري حين قال وطارت الخيل في الهواء، ففي الأساطير اليونانية يوجد شيء من هذا القبيل، خيل طائر ذو جناحين اسمه بيقاسوس .

ثم تكلم عن الحور العين، اللاتي يتشكلن من التفاحة أو الرمانة أو السفرجلة.

وذكر عبور الصراط وهوله، حين سُئل الخليل الفراهيدي" أأنت من قلت هذه الأبيات" فيقول إنه لم يعد يذكر شيئا.. معللا ذلك بقوله أن عبور الصراط ينفض الخلد مما استودع.

تكلم عن الجن وأنهم كانوا على مقدرة في التحول في الحياة الدنيا فيتحولون إلى عصفور أو يمامة، أما في الدار الآخرة فلم يعد باستطاعتهم فعل ذلك.

وذكر السحابة التي تمطر ماء الورد، وتنثر حصى الكافور، سحابة لا أجمل منها ولا أروع، محلاة بالبرق في وسطها وأطرافها، ووصف الثمار التي تأتي إلى فم الشخص من تلقاء ذاتها.

وفي الأخير يقول إن أهل الجنة يدعون ربهم (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وهنا تنتهي فلسفته ثم يستطرد بعد هذا في كثير من المسائل اللغوية و النحوية، مستشهدا على كل مسألة بشاهد شعري.

إذن بهذا التنقل الموجز في رسالة الغفران، نتيقن أن المعري هو السباق لهذه الفلسفة، التي تجاوزت مشارق الأرض ومغاربها، وأن رسالة الغفران التي حوت وصفا للدار الآخرة، ولحادثتي الإسراء والمعراج، ولغيرها من الأشياء الغيبية والماورائية، هي التي دغدغت فكر (دانتي)، فكتب على إثرها الكوميديا الإلهية، هذا ما أكده أكثر النقاد.

ولا يجد تاريخ الأدب الانساني من بلغ هذا المبلغ من الخيال والاستحداث، فقد رفد الأدب العالمي برصيد إنساني تجاوز حدود العالمية (الإنيادة، والإلياذة، والشهنامة).

فدوى طوقان حياتها وشعرها

فدوى عبد الفتاح آغا طوقان ولدت عام 1917 بفلسطين، وحملت الجنسية الأردنية، تعد من الشاعرات العربيات القلائل اللواتي خرجن عن الأساليب الكلاسيكية القديمة، دمجت بين الوزن الموسيقي القديم والإيقاع الداخلي الحديث، اتسمت قصائدها بالغنائية وتميز شعرها بالمتانة اللغوية والسبك الجيد مع السرد الجميل المتشبع بالعاطفة.

كان مما قاله عنها الشاعر والناقد الكبير عبد الله البردوني : قصائد فدوى كرسائل عاطفية أوضح ما تكون لخلوها من الحيل التعبيرية غالبا، وهي مع ذلك لا تبعد عن التطور الفذ والدلالة النفسية.

وقال عنها الشاعر الكبير محمود درويش : ليس ثمة قصيدة رومانسية بالكامل، غير أن أمل فدوى طوقان وعاطفتها صنعا الرومانسية الكاملة.

تكلمت الأديبة (تهاني شاكر) عن تجربة السيرة الذاتية لفدوى، فقالت إنها نموذج لأدب الاعتراف عند المرأة العربية، ولا شك أن في ذلك جرأة كبيرة، وأن هذا الفن هو من الفنون التي يهابها الكثير من الأدباء فما بالنا بامرأة عربية.

آثار القمع وندوب الكبت في شعرها:

بدأت معاناة فدوى مع هذه الحياة، منذ أن كانت في رحم أمها فقد حاولت أمها التخلص منها أكثر من مرة أثناء الحمل، وكأن ميلاد هذه الطفلة ارتبط بالقمع والاضطهاد حتى قبيل ولادتها.

لم تكن فدوى تعلم تاريخ ولادتها، فقد ربطته برحيل ابن عمها كامل عسقلان 1917 لأنه توفي أثناء فترة حمل أمها بها.

تلقت تعليمها الابتدائي في نابلس، وفي نفس الوقت كانت مدرستها هي بداية العثرات بالنسبة لها، فلسوء حظ الشاعرة لم تطل فترة دراستها، إذ منعها أخوها يوسف من الدراسة وأمرها بالمكوث في البيت، وكل ما في الأمر أن هذه الطفلة ذات الاثني عشر ربيعا تلقت زهرة فل من طفل في سنها.

بدأت عائلتها ترمقها بنظرات إدانة، وبدأ الأب يصب غضبه عليها، ولكن مع كل هذا لم يكن قرار منعها من الدراسة معوقا لها عن التعلم، فبدأت بتثقيف نفسها وأكثرت من قراءة أمهات الكتب، كان أخوها إبراهيم هو الوحيد الذي شجعها على الاطلاع فكان هو مدرستها التي استقت منها عيون الشعر العربي القديم، فتحدد حينها مسار حياتها.

تكلمت فدوى بلسان المرأة العربية المقيدة بقيد العرف، تكلمت عن القمع والظلم حتى أنها حاولت التخلص من حياتها أكثر من مرة، ولكن إرادتها كانت قوية، فقررت التمرد على القهر والكبت.

ظهرت العاطفة كثيرا في قصائدها كما نرى في قصيدة مراهقة:

يا نخلتي يحبني إثنان

كلاهما كورد نيسان

كلاهما أحلى من السكر

وتاه قلبي الصغير بينهما

أيهما أحبه أكثر

أيهما يا نخلتي أجمل؟؟

قولي لقلبي إنه يجهل

تظهر في هذه القصيدة شخصية منطلقة، ألفاظها سلسة ذات غنائية واضحة.

بدأت فدوى بإرسال قصائدها للصحف والمجلات الأدبية المصرية والعراقية واللبنانية، فكانت أول إطلالة لها من خلال مجلة الأمالي حيث قدمها (عمر فروخ) صاحب المجلة بقوله: هذه أبيات لشاعرة ناشئة، وفي الوقت الذي نرى

كثيرا من الرجال ينظمون شعرا مؤنثا رقيقا، نرى فتاة في الخطوات الأولى من حياتها تعيد إلى خيالنا ذكرى أبي تمام والمتنبي وتطلع لنا بديباجة شوقية.

وهكذا شقت الشاعرة لنفسها طريقا خطرا، فقد سلكت طرق الشعر واحتذت بشمس القوافي ونجوم الروي، وأبحرت بمركبها في تلك البحور الخليلية.

لها قصائد جميلة مثل القصيدة الأولى، أشواق حائرة، الصدى الباكي، تلك القصيدة، سمو، إلى صورة .....وغيرها من القصائد التي يفوح منها عبق العاطفة الصادقة.

وعندما توفي إبراهيم طوقان أخذت أخته تبكيه وترثيه حتى أنها لقبت بخنساء فلسطين ومن أشهر مرثياتها: لن أبكي، لاجئة في العيد، على القبر، آهات، أمام شباك التصاريح، وغيرها.

وقد رثته بشعر يصل القديم بالجديد (الحداثي) فتقول في قصيدة (على القبر):

أه يا قبر هنا كم طاف روحي

هائما حولك كالطير الذبيح

أو ما أبصرته دامي الجروح

وفي آخر القصيدة تقول:

أين إبراهيم مني؟ أين ؟أين؟

حبة القلب ونور الناظرين

كان عام 1941 عاما مأساويا بالنسبة لفدوى، ففيه خطف الموت أخاها الذي دلها على طريق الشعر، ووضعها على أول درجة من درجاته لتكمل طريقها، في قصيدة

(لن أبكي)بها أيضا رثاء وانكسار وضعف:

وقفت وقلت للعينين: قفا نبك على أطلال من رحلوا وفاتوها

تنادي من بناها الدار

وتنعى من سناها الدار

وكان القلب منسحقا

وقال القلب: ما فعلت بك الأيام يا دار؟

وأين القاطنون هنا؟

وهل جاءتك بعد النأي؟ هل جاءتك اخبار؟

نلاحظ مما سبق رجوعا إلى الأسلوب القديم، فها هي الشاعرة تقف على الأطلال وتبكي الديار، كما أنها اقتبست ألفاظ امريء القيس وأبي نواس، في قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ويا دار ما فعلت بك الأيام

ولكن الأسلوب كان بعيدا عن العمود الشعري القديم، فقد اقترب من شكل الشعر الحر لأنها تأثرت في فترة من الفترات بصحبة نازك الملائكة.

لم يكن لها حظ في الزواج، فقد رفضت العيش تحت سلطة رجل شرقي، وقد بررت ذلك بقولها(كانت المرأة في أيامنا مقموعة.. فالزوجة في البيت ممنوع عليها الرفض وإلا تعرضت للضرب، كنت أرى معاناة أمي وقريباتي، لست نادمة لأني عشت مع الشعر والفكر والحب أحلى حياة).

تكلمت عن آخر حب لها، فقد أحبت موظفا أجنبيا أحبها دون أن يعلم من هي؟ وما هي مكانتها في بلادها؟ ولكنها رأت أنه قد جاء في خريف العمر مما دفعها لإنهاء القصة بعد عام من بدايتها وفي هذا قالت:

إن هذا قدر العمر وهذا

آخر الإيقاع في اللحن الأخير

إنه اللحن الأخير

وكأنها شعرت أن هذا هو لحنها الأخير على قيثارة الحب التي عزفت عليها سمفونية (الحياة المتمردة)، وكأنها كذلك شعرت بدنو ساعة الرحيل فأسمت آخر دواوينها باللحن الأخير

أشعارها القومية وقضية بلادها:

كانت طموحة ترغب في تغيير العالم بيدها وتمنت افراغ الأرض من الشرور واقتلاع جذور البغض تقول :

لو بيدي

لو أني أقدر أن أقلب هذا الكوكب

أن أفرغه من كل شرور الأرض

أن أقتلع جذور البغض

أن أقصي قابيل الثعلب

أقصيه إلى أبعد كوكب

أن أغسل بالماء الصافي

أخوة يوسف وأطهر أعماق الأخوة

من دنس الشر.....

.....

لو بيدي أن أمسح من هذا الكوكب

بصمات الفقر

وأحرره من أسر القهر

لو بيدي أن أجتث شرور الظلم

وأخفف في هذا الكوكب

أنهار الدم

تكررت كلمة لو بيدي لتؤكد إلحاح الشاعرة في أمنيتها، فقد تمنت إقصاء قابيل صاحب أول جريمة في تاريخ البشرية ولقبته بالثعلب لمكره وكيده على أخيه، وذكرت أخوة يوسف وأنها تريد أن تطهر أعماق الأخوة من دنس شرهم ، فكيف سولت لهم أنفسهم في التفريط بأخيهم وكان هناك اقتباس واضح من القرآن في ذكرها لهاذين المعادلين الموضوعيين قابيل، وأخوة يوسف.

كان شعرها قبل نكبة 1984 معبرا عن مشاكلها، ذاتيا لدرجة كبيرة، وأما في نهاية الأربعينيات بدأت بكتابة قصيدة التفعيلة العروضية، التي كانت كتابتها أصعب من القصيدة ذات الشطرين.

بدأت حياتها في التغير عند سفرها إلى إنجلترا عام962 ، فطورت لغتها الإنجليزية واطلعت على الأدب والشعر الإنجليزي من خلال دراستها في أكسفورد.

عايشت الطبيعة الغربية، وانبهرت بالحرية والديموقراطية، واستهوتها الأفكار الليبرالية.

ومع رجوعها لأرض الوطن ازداد حسها القومي تألقا، وزادت التصاقا بالقضية الفلسطينية، وتفجر حسها القومي بشكل ملحوظ مع نكسة 1967، ومن شعرها القومي نقتبس:

لن أبكي على أبواب يافا يا أحبائي

وفي فوضى حطام الدور بين الدوم والشوك

.....

أحبائي حصان الشعب جاوز كبوة الأمس

وهب الشعب منتفضا وراء النهر

لم تخش أحدا فمع علمها أن حياتها مهددة بالقتل، رفضت عرض إحدى الدول العربية في الإقامة بها، وظلت بنابلس حتى بعد اجتياحها عام 1969

وفي قصيدتها (نداء الأرض) التي بدت كأنها حكاية متسلسلة تقول:

أتغضب أرضي ؟

أيسلب حقي وأبقى أنا حليف التشرد

أصبحت ذلة عاري هنا

أأبقى هنا لأموت غريبا بأرض غريبة

أأبقى ؟ ومن قالها؟

سأعود لأرضي الحبيبة

سأنهي بنفسي هذه الرواية

فلابد لابد من عودتي

كان بعينيه يرسب شيء

ثقيل كآلامه مظلم

لقد كان يرسب سبع سنين انتظارا

طواها بصبر ذليل

تحذره عصبة المجرمين

وترقد تحت حلم ثقيل

.....

رجعت إلي

وكانت عيون العدو اللئيم على خطوتين

رمته بنظرة حقد ونقمة

كما يرشق المتوحش سهمه

ومزق جوف السكوت المهيب

صدى طلقتين

فهذا الشخص أراد العودة إلى بلده، مهما كلفه الأمر، وكان يعلم أن نهايته ستكون في ذهابه، ولكنه آثر الاستشهاد فوق تراب وطنه على العيش بعيدا في وطن غريب، ولقد اراد الانتماء إلى وطنه ولو كان جثة هامدة تحت التراب.

لم يكن شعر فدوى السياسي كله بكائيات، فقد شاركت الوطن العربي أفراحه وانتصاراته فشدت في ذكرى حرب أكتوبر بقولها:

دقت الساعة العظيمة في الساحة

واستقرت خيول الشهامة

كان لابد أن تقوم القيامة

السنين العجاف طالت تآكلت

ووجهي ما عاد وجهي

وصوتي من السنين العجاف

ما عاد صوتي

كان لابد أن تقوم القيامة

قبل أن يسترد وجهي الخيزراني ذلك

الكآبي خطوط الوسامة

تعني بالساعة حرب 6 أكتوبر 1973، حين نسقت مصر مع سوريا وعبرت القوات المصرية قناة السويس، واقتحمت خط بارليف الذي أقيم عام 67.

وليست كلمة الساعة العظيمة مبالغ فيها، بل كانت حقا عظيمة.. ففي هذه الحرب وقفت الدول المنتجة للنفط بجانب مصر وسوريا، بهذا خسرت إسرائيل تأييد الحكومات الغربية لها، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يعلن فيها العرب وقف إمداد الدول الكبرى المساندة لإسرائيل بالنفط، ووصفت فدوى هذا بقولها: واستقرت خيول الشهامة.

وفي هذه الحرب تحطمت أسطورة التفوق الإسرائيلي، بسبب اجتماع العرب على كلمة واحدة، فقامت القيامة على اسرائيل.

ثم وصفت السنين الماضية بالعجاف، ووجهي ما عاد وجهي يدل على إنكارها لحال الأمة قبل حرب 73، وصوتي من السنين العجاف ما عاد صوتي، رمز للرأي العربي العام الصامت سابقا فهي تنكره كذلك، وفي لفظة السنين العجاف اقتباس واضح وجميل من القرآن الكريم.

قبل أن يسترد وجهي ..... الوجه هنا ليس وجهها، بل وجه الأمة العربية الذي عانى ما عاناه من ذل وانكسار فأصبح كئيبا حزينا كالخيزران، وحين قامت تلك القيامة استرد وجه العرب خطوط الوسامة، ولكلمة استرد بحد ذاتها دلالة خاصة، فلم تقل امتلك خطوط الوسامة، أو رسمت عليه خطوط الوسامة، وقالت استرد لتؤكد ملكية العرب وحقهم في هذا المجد، فقد كانوا على مدى التاريخ أصحاب مجد وحضارة أقوياء أشداء فعليهم الآن استرداد حقهم الذي ضاع منهم.

كانت لفدوى علاقة وطيدة بالزعيم جمال عبد الناصر، وكانت تلتقيه من فترة لأخرى في منزله، وفي إحدى زياراتها كلمته عن شباب المقاومة وكيف يهتفون باسمه في المظاهرات.

وبسبب هذه الزيارة هاتفها مستشار وزير الحرب الإسرائيلي لشؤون الضفة الغربية (موشه دايان)، وأخبرها برغبة دايان بمقابلتها في فندق داود بالقدس، وحين التقته كان أول ما قاله لها: علمت بالتقائك عبد الناصر، ولا أريد منك أن تخبريني بالتفاصيل، ولكن أفضل أن تخبريني بما تتوقعين، إنه لا يسرني.

فقالت له إن عبد الناصر قلق بشأن الضفة الغربية أكثر من قلقه على سيناء أو قناة السويس.

وقد ذكر دايان في مذكراته وقال أن هذا اللقاء كان لقاؤه الثاني بفدوى، ويقول إن عبد الناصر أخبرها بأنه لا يريد انسحاب اسرائيل من سيناء فقط، بل من الضفة الغربية بأكملها، وإنه قد أخذ عليها التقاءها بدايان المرة السابقة في منزله.

وموشه دايان كان قد ركز على هذه الشاعرة بعد أمسيتها الشعرية التي أقامتها في بيت جالا، فليس من الغريب أن يفرد لها صفحتين في مذكراته وقد قال عنها: إن هذه ال فدوى طوقان لم يعد لها عمل سوى إشعال نار الحرب ضدنا، وهي لا تكف عن التجول في المدن وتنظيم القراءات الشعرية التي تدعو إلى الفوضى وتحدي النظام الإسرائيلي.....وأضاف إن هذا كله يجب أن يتوقف.

إذن فأمسيات فدوى كانت تثير ضجة شديدة كانت أصداؤها تصل إلى دايان بنفسه، وتهز مقاعد الزعماء الإسرائيليين، وكان مما قاله عنها أيضا: وكنت قد سمعت بفدوى طوقان شاعرة نابلس، وقرأت بعض أشعارها وتأثرت بصراحتها وروحها الوطنية.

ويقول: إن قصيدة واحدة من قصائدها تكفي لإيجاد عشرة رجال من المقاومة، وفي نهاية كلامه قال عنها: إنها امرأة شجاعة.

وبهذا أصبحت فدوى حلقة وصل بين عبد الناصر وأبي عمار ياسر عرفات وبين كبار قادة العدو دايان.

رحيلها:

ظلت طوقان تصارع المرض، على مدى أشهر عديدة فنقلت إلى مستشفى نابلس شمال الضفة الغربية، حيث توفيت هناك وأعلنت وفاتها الساعة العاشرة والنصف ليل الرابع عشر من ديسمبر 2003، وشيعت جنازتها المهيبة عصر اليوم التالي، وعُزف حينها آخر لحن على الرحلة الأصعب ليبقى اللحن

(فدوى طوقان) خالدا أبد الدهر.

المصدر: الأعمال الشعرية الكاملة لفدوى طوقان

المراجع: كتب السيرة الذاتية بأجزائها الثلاثة،

يوميات قادة العدو 3،

فدوى طوقان والشعر الأردني المعاصر.

قراءة تحليلية لنفسية الشاعر عمر بن أبي ربيعة

عمر بن أبي ربيعة شاعر مخزومي (23 _ 93للهجرة النبوية) أحدث تغييرا جذريا في القصيدة العربية، ويعتبر رائد المدرسة الحضرية في العصر الأموي، وقد سميت بهذا الاسم لنشوئها في حواضر الشام والحجاز، وأعلام هذه المدرسة لم يتغنوا في النسيب بشخصية واحدة، بل بالعديد من الشخصيات، وعمر ابن أبي ربيعة هو الشاعر الوحيد الذي كتب كل أشعاره في موضوع واحد هو الغزل ولا شيء غيره.

نشأته:

نشأ في أسرة واسعة الثراء، وبيت يغص بالمال والرفاهية. كان والده من سادات مكة وأمه يمنية الأصل، ولأن عمل أبيه كان يضطره للسفر والابتعاد عن أسرته، لم يتعلق به عمر مثلما تعلق بأمه.

بهذا نشا نشأة مدللة مرفهة، توفي والده وهو في الثانية عشر من عمره فأصبحت أمه هي عائله الوحيد، وكانت تبالغ في حبها له، لم تكن تمنع عنه أي شيء، مما جعل شخصيته تتسم بالنرجسية منذ الصغر. وقد اتسم بجمال الطلعة ما سبب له غرورا وتعاليا.

أما عن أحوال البلاد حينها فقد اختلط العرب بالأجانب إثر الفتوحات الإسلامية، وظهر الغناء وكثر المغنون والقينات، وقد عاش عمر في هذا المجتمع المتسم بالحرية، وبدأ يستشعر بنفسه ملكة الشعر.

لمن كتب :

*الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث كانت من الفتيات البارزات في مكة حسبا ونسبا، وما يهمني هنا هو النشاط الأدبي الذي شاع في بيتها، حيث كان مكانا يجتمع به الشعراء والمغنون، وكان عمر يتردد عليها ولكي يصبح شعره مناسبا للتغني به، استعمل الأوزان الخفيفة والمجزأة واللغة السهلة السليمة.

وكان مما قاله في الثريا:

من رسولي الى الثريا بأني.. ضقت ذرعا بهجرها والكتابِ

*زينب الجمحية (ويعتقد أنها الجمحية التي تزوجها عمر) وقد قال فيها:

أنىّ تذكر زينب القلب.. وطلابُ وصل غريرة شغبُ

وقال بعضهم أن زينب هذه هي نفسها نعم التي قال فيها:

ولا قرب نعم إن دنت لك نافع.. ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

وقيل أيضا أن زينب هي نفسها هند وهي نفسها ذات الخال، فنرى أن أكثر الأسماء كانت رمزية، وقد وجدت أسماء أخرى مثل أسماء، فاطمة، أمامة، سلمى، رباب سكينة لا ندري هل هي أسماء حقيقية أم لا؟

ظهرت المرأة في شعره متحضرة مبالغة في زينتها ترتدي أجمل الملابس والحلي، وقد تكررت بعض الكلمات في أبياته مثل (الذهب، العقيق، الدر، زبرجد ، ياقوت) وتغنى بالمرأة المخدومة التي لها جوار يخدمنها.

كثيرة هي الأبيات التي بدأت بكلمة قالت أو تقول أو أنه يذكر كلام النساء:

تقول إذا أيقنت أني مفارقها.. يا ليتني مت قبل اليوم يا عمر

وعلى لسان أخرى يقول:

ما وافق النفس من شيء تسر به.. وأعجب العين إلا فوقه عمر

ففي الأبيات السابقة نجده معشوقا لا عاشقا ولم نر قبله شاعرا يصبح شخصه موضوع الغزل، فهو الذي يتدلل ويرفض وهو المحبوب بين النساء:

بينما ينعتنني أبصرنني.. دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى: أتعرفن الفتى ؟.. قالت الوسطى: نعم هذا عمر

قالت الصغرى :وقد تيمتها.. قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

هنا غرور كبير وافتخار لم يسبق إليه أحد، وعند قراءة ديوانه نجده يكثر ذكر اسمه وكذلك أكثر من القافية الرائية لذكر اسمه بها.، ومن المعروف أن هذه صفة نرجسية أن يكثر الشخص من ذكر اسمه ويمتدح شخصه.

أخذ غزل عمر بن أبي ربيعة الطابع القصصي والحوار الذي شاع في ديوانه.

غزله العذري:

نعم امتلك ابن أبي ربيعة غزلا عذريا عفيفا فنجده العاشق المدنف الصادق الوفي فيقول:

يقولون أني لست أصدقك الهوى.. وأني لا أرعاك حين أغيب

ويقول:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى.. فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وفي قصيدة حدثيني يقول:

حدثيني وأنت غير كذوب.. أتحبينني جعلت فداك ؟

واصدقيني فإن قلبي رهين.. ما يطيق الكلام فيمن سواك

وفي قصيدته لو كان يخفى الحب يقول:

ولكن عدمت الحب إن كان هكذا.. إذا ما أحب المرء كان له حتفا

فنجد بين ثنايا الديوان حبا صادقا وكلام تخف فيه نبرة الغرور بل يظهر الانكسار والضعف، ولكننا لا نستطيع تبين كل شيء من ديوان شاعر وحسب، ولكن المهم هو أن هذا الشاعر حيك حوله العديد من القصص الخيالية ونسجت حوله الأقاصيص، ووصف بالشاعر الماجن، ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا (إن ما ورد في كتاب الأغاني عن ابن أبي ربيعة تسلية وترفيه وليس وصفا لحقيقة عمر وحبه وإذا أخذنا بها فنعتبر محرفين لحياته)

*المصدر

ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق د| فوزي عطوي ط1 بيروت 1971 الشركة اللبنانية للكتاب

*المراجع

التطور والتجديد في شعر العصر الأموي شوقي ضيف ط5 1973 دار المعارف\مصر

شعر الغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية شوقي ضيف ط3 1976 دار المعارف\ مصر

تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ط5 دار المعارف \مصر

تحليل الحدث في رواية (وكان مساء) للسحار

عبد الحميد جودة السحار، أديب وروائي وكاتب قصة وسيناريست، اشتهر بقصصه ورواياته التاريخية والإسلامية. ولد عبدالحميد جودة السحار في عام 1913 بالقاهرة. حصل علي بكالوريوس تجارة من جامعة فؤاد الأول عام 1937.

وكان مساء رواية تحدث فيها الكاتب عن مفاجآت الأقدار التي يشهدها بطل الرواية.

تحكي الرواية رحلة عمل جمال إلى جدة ثم إلى الباكستان، وتستعرض كل الأحداث التي مر بها البطل في البلاد التي سافرها، وتميزت الرواية بأسلوبها السردي والوصفي للأحداث والأماكن التي زارها البطل حيث نقل أحداث استشعرها الكثير من المصريين الذين سافروا للعمل بالخليج في فترة من الفترات.

بنيت الرواية على عنصر التشويق حين بدأ الراوي سرده لحياة البطل منذ أن كان في أول مراحل الصبا يعيش أحلامه الوردية، وحتى صار رجلا ناضجا وأبا، وقد اتسم السرد بالازدواج الحدثي في البداية، والانتقال بين زمنين زمن الماضي والحاضر، حتى ترتبط البداية بالنهاية فكيف بدأ حدث الرواية؟

*بداية الحدث

يظهر بطل الرواية متسائلا: لماذا قبلت؟ فيُعرف أن بطل الرواية متمثل في شخص الراوي وهو من سيحكي أحداث الرواية بضمير المتكلم.

بعد تساؤل(جمال عبد السلام) بطل الرواية

نراه يقف مودعا أهله، بعدما قرر قبول عرض السفر للعمل في المملكة العربية السعودية، تتسمر عيناه على أفراد عائلته، وهو يفكر في رحلته صوب المجهول، وهو لا يدري ما الذي سيشهده من مفاجآت يخبئها له القدر.

هكذا بدأت الرواية بالسفر، والتي تناسقت تماما مع نهاية الرواية فيما بعد، لتكون ما بين البداية والنهاية قصة رحلة غاص فيها جمال في أعماق ذاكرته.

يقول بطل الرواية: قبلت السفر لأنني أؤمن أن هناك قوة تسيطر على أقدارنا، وهي التي فتحت لي هذا الباب.

بعد هذا تأخذ الرواية مسارا آخر، فقد ظهرت ثنائية جميلة للحدث واستمرت هذه الثنائية حتى انتهت قصة الزمن الماضي.

ففي فترة تأقلم جمال على المكان الجديد نجده يعود بأفكاره وذكرياته إلى الوراء فيتذكر أيام طفولته وشبابه ويحكي لنا قصة تلك الفتاة الإيرانية الأصل التي أحبها واتفق معها على الزواج.

ارتبط حدث الزمن القديم بحدث الزمن المعاش مع الاحتفاظ بالتسلسل والتشويق ودون الإخلال بجودة الرواية.

وبهذه الثنائية نشهد التغير المتتالي للزمن والمكان، فتارة يتذكر بيته القديم في القاهرة التي جاء منها ويتذكر حين كان طالبا في الثانوية، وكانت فاطمة حينها طفلة همها الوحيد هو اللعب واللهو وكانت تناديه ب (عم جمال)، يتذكر صوتها الجميل ويتذكر كيف كان يشتري لها الحلوى من محل (ألف صنف)

*الحدث في قصة الزمن الماضي:

بدأ بتذكر أيام صباه وطفولة فاطمة، وظل السرد متنقلا بين الماضي والحاضر إلى أن وصلت أحداث القصة إلى الذروة حين نجح جمال وتخرج من الجامعة، وجاء إلى فاطمة فرحا قائلا لها: سنتزوج ونبني بيتا سيكون أسعد بيت.

ثم يبدأ الحدث بالنزول تدريجيا فتختفي فاطمة فجأة من حياة جمال ودون مبررات ويكتشف فيما بعد أنها تزوجت وسافرت، تتحطم أحلام الشاب الطموح، وتنتهي مع هذه الصدمة العاطفية خططه التي كان يرسمها لمستقبل وردي.

تنتهي ذكريات جمال إلى هذا الحد، ثم يظهر متسائلا عن سبب تذكره لفاطمة وفي هذه الفترة بالذات، فهي لم تخطر بباله منذ فترة طويلة.

بعد طول تذكر وتفكر نجد أن جمال أسمى فاطمة اللحن الناقص في حياته، والقصيدة البتراء التي نظم القدر مطلعها ثم أهملها تاركا إياها دون نهاية.

*تطور الحدث:

بعد أن استقر جمال في المملكة العربية السعودية، نجد الحدث يتطور إذ يختاره الوزير ليكون عضوا في البعثة الذاهبة إلى الباكستان فيترك أولاده وزوجته في السعودية ويسافر، ولأنه أُختير عضوا في البعثة السعودية توجب عليه لبس الثياب العربية المعروفة.

وفي الباكستان يستمر الحدث بالتطور إذ يكثر تنقله وزياراته لبيوت الضيافة، هناك وفي إحدى هذه الليالي حدثت الحبكة

*الاقتراب من الحبكة:

يشدنا جمال حين يقول عن تلك الليلة وكان مساءً لن أنساه فيلفتنا إلى عنوان الرواية، في إحدى بيوت الضيافة نجده يلتقي بفتاة في السابعة عشرة من عمرها فيخيل إليه أنه يعرفها، وأنه حدثها وسمع غناءها.

ذهب إليها وعرف بنفسه وأخذ يحدثها طويلا ولقبّها ببدر البدور وحين سألته الفتاة (ياسمين) عن قصة بدر البدور وعدها بأنه سيحكيها لها في وقت لاحق.

ثم جاءت فرصة ليحكي لها الحكاية حكاية بدر البدور التي حملها الجني إلى الأمير كان يحكيها في حدائق شاليمار إحدى عجائب الدنيا وأحس حينها أن روحيهما قد تقابلتا من قبل.

وقد أجاد الراوي وصف حدائق شاليمار - لاهور - باكستان للدرجة التي تجعلك تتمنى أن تسافر لتراها.

ويصل الحدث إلى ذروته حين يشعر جمال بعاطفة غريبة تجاه هذه الفتاة، تعلق بها كثيرا ولم يستطع التوقف عن التفكير بها.

يقرر جمال الزواج بياسمين ويقنع نفسه بأنه يستطيع فتح بيتين، وأنه سيقنع زوجته فهو ليس أول من اتخذ له زوجة ثانية.

وكانت كل الأحداث تساهم في الوصول إلى هذه الذروة.

*الحبكة:

تعلقت به ياسمين كذلك، ودعته لبيتهم كي تعرفه على والدتها، وحين يرى جمال والدة ياسمين يقف مذهولا غير مصدق لما تراه عيناه. فلم تكن أم ياسمين إلا حبيبته فاطمة التي فارقته منذ عشرين عاما، وها هو يلقاها في الباكستان، وأين في هذا المنزل؟ وماهي الأفكار التي دارت بخلده وهو يدخل هذا المنزل؟ بل ما نوع النية التي نواها حينئذ؟

ارتبك جمال ولكن فاطمة لم تعرفه، بسبب الثياب الغريبة واللحية وتغير شكله مع السنين.

تدرج الحدث واقترابه من النهاية: يقول جمال لقد قرر القدر إكمال لحنه الناقص ونظم قصيدته البتراء. وعرف أيضا سبب انجذابه لياسمين، في حيلة ذكية يدعي جمال معرفته بقراءة الكف، يأخذ كف فاطمة ويحكي لها الكثير عن حياتها حتى تندهش فاطمة من أدق التفاصيل، فإذا بياسمين تمد يدها إليه طالبة منه أن يقرأه فيقول لها: لم يعرف قلبك الحب بعد، لن تكوني زوجة ثانية لرجل غريب، ولن تحملك جنية إلى بلاد بعيدة. يبدأ الحدث بالنزول تدريجيا إذ يقرر جمال إظهار شخصيته الحقيقية لفاطمة يرتدي ملابسه العادية ويحاول أن يعيد شكله إلى ما كان عليه فتندهش ياسمين لأنها لم تعرفه منذ أول وهلة

وما إن رأته فاطمة حتى اضطربت وتسمرت في مكانها وتمتمت في إنكار: جمال!

وهنا يدور حوار بينهما وياسمين تقول لهما مستغربة ماذا تقولان بالعربية، فيتكلمان عن أولادهما وحياتهما وكيف فرق بينهما القدر

النهاية: كان اليوم التالي هو يوم مغادرة جمال للباكستان وعودته إلى المملكة العربية السعودية ومن ثم إلى مصر.

وقبل السفر جاءت فاطمة وياسمين لتوديعه بعد أن حدثت الأم ابنتها عن الحكاية القديمة،كان جمال يحدث فاطمة بالعربية فتقول ياسمين فهمت حديثكما كنتما تتحدثان عن الحلوى في محل (ألف صنف) وتم الوداع وقالت له ياسمين: مع السلامة عمي جمال فيتذكر فاطمة الصغيرة التي كانت تناديه بهذا الاسم.

وتختم الرواية بهذا المشهد: يجلس جمال في الطائرة يتذكر أولاده وزوجته وبيته ووطنه فتسيل الدموع من عينيه وهو يقول: إنني قادم، إنني قادم.

وبهذا تنتهي الرواية بانتهاء الرحلة

دستويفسكي وحكايات بداخل حكاية

رؤية في رواية (المساكين)

أدخل دستويفسكي حكاية بداخل حكاية وهذه ميزة تضاف له، ومع أنه ذكر قصصا قصيرة مثل قصة عمله وقصته مع الممثلة التي أحبها ثم تركها، إلا أن هذه القصص مرت مرور الكرام وعندما نتفحص ثنايا الرواية نجد قصة غورشكوف تلك القصة التي صبغت الرواية بلون حزين بائس

وقد جاءت قصة غورشكوف مجزأة على ثلاث رسائل إلا أنها متوالية ومتكاملة الأحداث ثم اندمجت هذه القصة بقصة ماكار وفرنكا

*غورشكوف إنسان عادي فقير يعيش مع أسرته الصغيرة وزوجته وأطفاله الثلاثة ويسكن غرفة واحدة مقسمة بحواجز، ولفقره المدقع لم يستطع إعالة أسرته وكذلك لم يستطع علاجهم فتوفي ابنه ذو التسعة الأعوام بعد أن عانى من المرض

وقد وصف ماكار(صديق غورشكوف) مشهد تابوته ووصف حالة أمه وأبيه وكيف كان الأب حزينا يسح الدموع أما الطفلة الصغيرة فاتكأت على التابوت

واضعة إصبعها بين شفتيها وقد ارتسمت ملامح العبوس على وجهها البريء وعندما أعطتها صاحبة المنزل قطعة حلوى أخذتها ولكنها لم تأكلها

جاء غورشكوف في أحد الأيام يطلب من ماكار أن يقرضه عشرين كوبيكا، لم يكن يملك الأخير سوى عشرة كوبيكات، فأعطاه إياها ناسيا حاجته لها، بعد أن رأى وجه صديقه قد احمر خجلا، وهو يقول إن زوجته وأولاده جائعون.

وقد اتُهم غورشكوف في قضية أساءت كثيرا إلى سمعته، وأهانت كرامته.. وحين حكم لصالحه، فرح فرحة لا توصف، ودعا كل أصدقائه ومعارفه لوليمة أقامها في منزله، ولم يكن يردد غير الشرف الشرف هذا الذي سأتركه لأبنائي، كان سعيدا مبتسما طوال الوقت وكأنه كان في يوم عيد، قال لزوجته سأستلقي قليلا.. وأوى لفراشه دعا ابنته وأخذ يمسد رأسها طويلا، ثم التفت إلى زوجته قائلا ماذا عن بيتنكا ابننا بيتنكا، أجابت زوجته باندهاش راسمة علامة الصليب.. ولكن ابننا بيتنكا قد مات! فيقول نعم أعرف أعرف.

طلبت منه زوجته أن يأخذ غفوة فقال: نعم الآن سأغفو قليلا.

واستلقى لبعض الوقت ثم انقلب وهمّ أن يقول شيئا، ولكن زوجته أخطأت السمع فسألته عم يتحدث، فلم يجبها ظنت أنه قد نام، وعندما عادت أحست بصمت القبور، فوجدته جثة هامدة.

.

*قصة فرنكا

هذه القصة بالذات جاءت على شكل ذكريات لماضي فرنكا، فهي تقتطف هذه الذكرى من دفتر مذكراتها، وترسلها إلى ماكار ديفوشكين.

وقصة فرنكا أطول من قصة غورشكوف، وفيها شخصيات كثيرة مسماة: الشاب بوكروفسكي ووالده العجوز، قريبة فرنكا آنا فيدورفنا والطفلة ساشا ابنة عم فرنكا طفلة يتيمة تربيها آنا، وبيكوف الذي ساعد بوكروفسكي في الدراسة ودبر له منزلا عند آنا.

أحداث القصة: كانت طفولة فرنكا أسعد فترات حياتها، فقد تربت في ذلك الريف البسيط، وكانت في أغلب الأحيان تركض وتجري في تلك البساتين وتلك الحقول فرحة لا تدري ما يخبئ لها القدر.

الانتقال إلى المدينة: هنا تبدأ أول صفحة في شقاء فرنكا، حين يقرر والداها الانتقال إلى بطرسبورج، أدخلها والدها مدرسة داخلية هناك، فلم تستسغ نظام المدرسة الصارم، فكانت تمضي أكثر أيامها بالبكاء، وتفكر بأبويها وما إن ينتهي الأسبوع، حتى تركض فرحة إلى البيت.

تكثر على والدها الديون فيصبح سيء الطبع، فيبدأ بتوبيخ فرنكا بأنها لم تجلب لهم أي مسرة، وأنهم يحرمون أنفسهم من آخر ما لديهم كي تدرس، ومع ذلك فهي لا تستطيع التكلم بالفرنسية، أما الأم فكانت تبكي بصمت.

ومع مرور الأيام تتدهور صحة الوالد فيموت، وعلى الفور يأتي الدائنون من كل حدب وصوب، فلم يكن أمام والدة فرنكا، إلا أن تبيع المنزل لتسديد الديون، وبهذا أصبحت الأم وابنتها ذات الأربعة عشر عاما دون مأوى، فتأتي قريبتهما آنا للتعزية وتعرض عليهما المجيء للسكن عندها، فتقبلا العرض بامتنان.

حوى منزل آنا خمس غرف، عاشت في ثلاث منها مع الطفلة ساشا، وغرفة لفرنكا ووالدتها، وغرفة كانت مؤجرة من طالب فقير يدعى بوكروفسكي، كان يعلم ساشا الفرنسية والألمانية وبقية العلوم، ولقاء ذلك يحصل من آنا على مسكن وغذاء، فألمحت آنا لوالدة فرنكا أن تدع ابنتها تدرس مع ساشا، بحكم أنها تركت المدرسة الداخلية، وبهذا درست لدى بوكرفسكي سنة كاملة.

كان بوكروفسكي شابا غريب الأطوار، يتكلم بطريقة غريبة وكان دائم الارتباك، وهذا ما كان يثير ضحك الفتاتين، وفي يوم من أيام دراستهما أزعجاه، لدرجة أن عينيه اغرورقتا بالدموع، وقال هامسا "طفلتان خبيثتان".

حينها خجلت فرنكا من نفسها، فهي في الخامسة عشرة من عمرها، فلماذا تتصرف هذه التصرفات الصبيانية؟ حزنت لأجله كثيرا وشعرت بأنها جرحت كبرياءه، ومن يومها أخذت تنظر إليه نظرة مختلفة، ووضعت في حسابها أنه إنسان لديه مشاعر وأحاسيس، وبما أنها كانت مراهقة في ذلك الوقت وكان بوكروفسكي هو أول شاب تصادفه فقد أصبح حبها الأول.

أرادت أن تلفت انتباهه فقررت أن تصبح مثله متعلمة مثقفة، وفي أحد الأيام وبعد أن تأكدت من خلو بوكروفسكي من البيت، تسللت خفية إلى غرفته وتسمرت عيناها على تلك الأرفف المليئة بالكتب، فاختارت كتابا وجرت به إلى غرفتها، وحين فتحته وجدته باللغة اللاتينية، فعادت لإرجاعه ولكنها لم تستطع إدخاله، فقد كان محشوا بقوة بين الكتب، وبينما هي تهرسه إذا بالمسمار الذي يستند عليه الرف يقتلع من مكانه، وتتساقط الكتب وفي نفس اللحظة يدخل بوكروفسكي.

وحين تهم فرنكا بجمع الكتب يصرخ طالبا منها أن تخرج، ثم يخفف نبرته ويقول متى ستصبحين راشدة، فتخجل الفتاة وتركض إلى غرفتها.

بعد هذا الحادث ببضعة أيام تمرض والدة فرنكا وتلزم الفراش، فتقعد فرنكا بجانب أمها تداويها حتى أنها تهمل صحتها فيغمى عليها، فيأتي بوكوفسكي للاطمئنان عليها ويعطيها كتابا كي لا تضجر، وكان والد بوكروفسكي يزورهما كذلك بين الحين والآخر، وعندما اقترب عيد ميلاد بوكروفسكي قررت فرنكا أن تشتري له الأعمال الكاملة لبوشكين، وبينما هي تشتري وجدت نقودها 30روبلا وكان ينقصها روبلين ونصف، وبالصدفة وجدت والد بوكروفسكي يبحث عن كتاب يشتريه لابنه، فطلبت منه أن يضيف روبلين ونصف، فتكون هدية مشتركة.

ولكن الأيام السعيدة سرعان ما تنقضي، فيصاب بوكروفسكي بوعكة صحية ويلزم الفراش وتلازمه فرنكا في فترة مرضه، وفي تلك الليلة كان يتألم كثيرا أما والده فقد كان يرتجف بجانبه خوفا على ابنه.

بدأ بوكروفسكي بالاحتضار وودع الجميع، وكان يقول شيئا غير مفهوم، حتى فهمت فرنكا قصده.. كان يشير إلى النافذة لكي تزاح عنها الستائر، كان يريد أن يلقي آخر نظرة للسماء، ولكنه ما رأى غير جو ممطر كئيب، فهز رأسه بحزن ونظر إلى فرنكا ثم مات.

وعند تجهيز التابوت تأخذ آنا الكتب لتبيعها، فيسرع والده ليلتقط ما يستطيع التقاطه، يأخذ الأشياء الوحيدة التي بقيت لديه من ولده، فيهرس الكتب في كل مكان.. في جيوبه وفي يديه وتحت إبطيه وتحت قبعته، ويجري ليؤدي مراسيم الدفن.

أغلق التابوت بالمسامير فيجري الوالد باكيا، بينما تتساقط الكتب من جيوبه فيتوقف لأخذها، وقد ابتلت بالمطر.

وتعود فرنكا حزينة لتحتضن أمها آخر شخص تبقى لها، ولكن الموت كان يحوم على أمها كذلك وبعدها بسنتين تنتقل للعيش مع فيدورا وتتعرف إلى ماكار.

دوستويفسكي وأول أعماله

(رواية المساكين)

لقد تعرضت من قبل لتحليل هذه الرواية، ولكني بدأت بتحليل الماضي لكل شخصية، عن ماكار الذي كتب عن أصدقائه لفرنكا، وعن فرنكا وذكرياتها.

الرواية فيها زمنان، زمن ماض للذكريات، وزمن حاضر.. وكلها تجسدت في الرسائل، بُدئت الرواية برسالة وخُتمت برسالة كذلك، وتكلمت فيما قبل عن الحكايات التي تخللت هذه الحكاية ولكن ماذا عن حياة البطلين؟

كانت رواية المساكين هي أول إبداعات الشاب دستويفسكي ذي الأربعة والعشرين عاما، وكان موفقا في طرحه وفي اختيار عنوانه إذ تناسب العنوان مع كل شخصيات الرواية المساكين لعله تأثر ببؤساء هوجو فسطر على نهجها رائعته.

حلم دستويفسكي دائما بالإنسان السعيد، ومع ذلك لم يصور أبطالا سعداء لرواياته، وقد تميز أسلوبه بالمذكرات كتبها على شكل مراسلات، تحكي يوميات أشخاص محددين، فهذا الأسلوب ميزه عن غيره.

الرواية عبارة عن مجموعة رسائل، يتشوق القارئ لمعرفة رد كل رسالة.

بلغ عدد الرسائل 55 رسالة وعلى كل رسالة تاريخ كتابتها، والمراسلات كانت بين السيد ماكار ديفوشكين (الرجل المسن)، والشابة فرنكا التي مثلت الأمل لهذا العجوز.

شخصيات الرواية

ماكار وفرنكا هما الشخصيتان الأساسيتان، أما الشخصيات الثانوية فهي من جانب ماكار : صديقه غورشكوف، جارته تيريزا، صاحبة المنزل، رئيسه في العمل، أصدقاؤه الذين يتكلم معهم عن الأدب.

أما من جانب فرنكا فلديها صديقتها فيدورا، وفي نهاية الرواية يظهر بيكوف الذي تتزوجه، وتنتهي الرواية على هذا الحدث.

عرض وتحليل لمحتوى الرواية:

تبدأ الرواية برسالة من ماكار وفيها يشكو لفرنكا مشاكل الشيخوخة، فيقول إنه لم يعد يقوى على العمل، فهو سرعان ما يتعب من أي جهد بسيط يبذله، ويذكرها بموضوع الستارة.. فقد عاشا في شقتين متقابلتين، فإذا أنزلت الستارة معناه طاب مساؤك، وإذا رفعتها معناه صباح الخير أو كيف صحتك. ويسألها عن صحتها ويصف ابتهاجه حين يراها، ويمتدح جارته تيريزا التي تساعده في نقل الرسائل، ويصف صاحبة المنزل بأنها عديمة الرحمة والشفقة.

- فلسفة المساكين في الحياة

تتجلى مظاهر البؤس والفقر والمأساوية، حين يكتب لها بأنه يحرم نفسه من أشياء كثيرة حتى الشاي لم يكن يشربه، ولكنه أصبح فيما بعد أكثر حرصا على تدبير مبلغ من المال للشاي والسكر ،مبررا ذلك بقوله: إن عدم شرب الشاي شيء مخجل فجميع جيرانه يشربون الشاي، حتى أنه يشعر بالخجل أمامهم، ولهذا فهو يشرب الشاي من أجل الغرباء، وللمظهر ولئلا يصبح مختلفا عن بني جنسه ليس إلا، أما عن الشاي فوجوده عنده كعدمه.

ونجده في رسالة أخرى يبدي رأيه من لبس المعطف والحذاء، فيقول أنا لا أتحسر على نفسي فكل شيء سواء عندي، حتى لو خرجت في شدة الزمهرير بلا معطف وبلا حذاء طويل، فأنا أصبر وأتحمل ولكن ماذا سيقول الناس عني؟ فنحن نرتدي المعاطف من أجل الناس، والأحذية كذلك ننتعلها لكي نحتفظ بكرامتنا.

ويتحدث دستويفسكي عن المسكين، على لسان بطل الرواية ماكار ديفوشكين فيقول: إن المسكين رجل موسوس يرى الدنيا برؤية مختلفة، وينظر إلى كل عابر سبيل، وتلتقط أذنه أي كلمة يقولها الناس، فربما يتحدثون عنه وربما يقولون إنه دميم ....

في أكثر من رسالة يكتب لفرنكاأ أنه أرسل لها رطلا من الحلويات أو ملبسات أو غيرها، في حين تلومه فرنكا لأنه يبعث إليها بالهدايا الثمينة، وتقول إنها تكتفي بالزهور الرخيصة، فليس هنالك أي داع للزهور الباهظة الثمن وللحلويات كذلك.

تكلم ماكار عن طبيعة علاقتهما فنجده يتذمر من نفسه، ويستغرب وقوعه في الحب وهو في هذه السن، ثم نجده يتراجع ويقول إن هذه العاطفة ليست سوى عاطفة الود الأبوي، وإن تفسير ما يفعله معها هو شعوره بالمسؤولية تجاهها، بما أنها فتاة يتيمة وهو بمقام والدها وقريبها وعائلها الوحيد.

انعكاس ذات دستويفسكي على الرواية

يظهر الإيمان بالرب الأوحد، فماكار وفرنكا يدعوان الله ويشتكيان حالهما فتقول فرنكا سأدعو لك الرب الى الأبد وإذا بلغ السماء دعائي وتقبله الرب فسيهبك السعادة.

خيمت الأجواء المأسوية على الرواية، فيظهر اليأس من الحياة عندما تمرض فرنكا فتقول أشعر أني سأموت عما قريب، فمن سيدفنني ومن سيمشي وراء نعشي، وفي نفس الموضوع يقول ماكار أتريدين أن يأخذوا نعشي إلى المقبرة على عربة حمولة بسيطة، ولا تسير ورائي سوى عجوز كسيحة يهيلون علي التراب هناك ويذهبون.

يظهر شخص دستويفسكي الكاتب في شخصية راتازييف صديق ماكار ،الذي ذكر بأنه يكتب خمس ملازم دفعة واحدة، ويتقاضى عن الملزمة 300روبل وأحيانا يجادلهم في المبلغ حتى يضاعفوه له، فتظهر شخصية الكاتب التي تكلمت عنها مسبقا في تعريفي لهذا الكاتب.

تقرر فرنكا الاشتغال مربية بجانب عملها في التطريز، ولكن ماكار يرفض هذا ويقول إنه يلبي لها كل حاجياتها وهي ضعيفة لا تقوى على العمل، ويقول بأنه سيفعل أي شيء ليجعلها غير محتاجة لشيء، حتى لو اضطر لبيع آخر ما لديه.

تكتشف فرنكا أن ماكار يمر بضائقة مادية، وأنه باع ملابسه في فترة مرضها فتلومه على ذلك، وتلومه لأنه منعها من العمل، فيعترف لها بكثرة ديونه وبحالته التي يُرثى لها، وسوء ملابسه التي يرتديها، فقد تدلت أزرار قميصه من خيوطها ويصف لها خجله من نظرة الناس إليه.

وبهذا تتغير الأحوال فتصبح فرنكا هي التي تساعده وتقدم له يد العون، وتبعث له مبالغ مالية فترد المعروف بالمعروف والإحسان بالإحسان، ولكنها تتعرض للمضايقات فتطلب منه الاستدانة لتغيير سكنها.

أصبح حاله سيئا للغاية وانعكس ذلك على عمله، فقد كان يعمل خطاطا ينسخ الأوراق للأدباء، وعندما كُلف بنسخ عدة أوراق نسي سطرا بأكمله، فتغير السياق الكلي للنص.. استدعاه رئيسه يستفسر عما حدث، وفي هذه

الأثناء يسقط زر من أزراره ويتدحرج فيحدث صوتا واضحا على الأرض، فكان ذلك كل تبريره كل جوابه وكل اعتذاره.

التفت إليه رئيسه وأخذ يتمعن به، ومن شدة خجل ماكار ينحني للأرض ويأخذ الزر ويضعه على الخيوط كأنه سيلتصق، وحين علم رئيسه بظروفه أخرج من جيبه ورقة من فئة مائة روبل قائلا: هذا ما أستطيع عليه فاعتبرها ما تشاء، دس الورقة في يده وأخذ يده مصافحا إياه.

أثر هذا الموقف في ماكار وأخذ يمتدح رئيسه، وطلب من فرنكا أن تدعو له وأعطاها مبلغا من المال، وخصص مبلغا لملبسه وسدد ما عليه من الديون وترك لنفسه مبلغا لوقت الحاجة.

الأحداث النهائية للرواية

يظهر بيكوف ويطلب يد فرنكا للزواج، ويعرض عليها الكثير فتبدأ فرنكا بتجهيز نفسها للزفاف، ورضي ماكار بالأمر الواقع فساعدها في شراء الملابس والمجوهرات وحدد لها كذلك يوم الزفاف.

تخط فرنكا آخر رسالة إليه ولكنها ليست ككل الرسائل، فقد اختلط الحبر بالدمع، ودعته ووعدته بأنها ستظل تذكره وطلبت منه أن يذكرها، واختتمت الرسالة بملحوظة تقول فيها: إن روحي طافحة بالدموع والدموع تكاد تخنقني.

كانت هذه الرسالة بمثابة جرس إنذار لماكار، فأصبح غير مستوعب للموقف وغلبت عليه اللهجة الهستيرية، قال لها بأنه قد أحبها ولكنه كان مغفلا إذ لم يستطع الحفاظ عليها، ويفكر بالانتحار.. ثم يقول بأنه أحبها حبا أبويا صادقا، فلم يعد يدري ما هو إحساسه نحوها، الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أنه يريدها بجانبه يكتب لها ويحكي لها همومه.

كان قدر فرنكا هو الزواج، أما ماكار فقد انتقل للعيش في شقتها، ليتذكرها في كل ركن من أركان الشقة.

أظن هذه النهاية كانت معللة بمقولة ذُكرت في الرواية على لسان ماكار حينما قال: التعاسة مرض معد، فالتعساء والفقراء بحاجة إلى أن يتحاشى بعضهم البعض حتى لا تشتد العدوى بينهم.